المقتطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٢١

الحرب بين الروس واليابان

نكتب هذه السطور وقد تفاقمت الخطوب في الشرق الاقصى وقامت اليابان بنت الامس في العمران الحديث تتهدَّد روسيا المنيعة الجانب الشديدة الدولة التي يدين لها مئة وثلاثون مليوناً من النفوس وتخفق رايتها على نصف اسيا واكثر من نصف اوربا . وتحسب اليابان انها تعود من هذه الحرب ظافرة غانمة لانها اعدَّت من الاساطيل في بحرها وبحر الصين ما هو اقوى من الاسطول الروسي الذي هنالك ولأنها معتمدة على تحالفها مع انكلترا . وقد ضربت الضربة الاولى قبل ان تعلن الحرب رسميًّا فبيتت الاسطول الروسي وباغتتهُ فاستغرب الناس منها هذه الجرأة ولامها انصار السلم على ذلك اعتقاداً منهم انها لو ضربت اجلاً لانتهاء المخابرات والشروع في القتال اذا لم تُجَب الى مطالبها لتساهلت روسيا لما فامتنعت الحرب او لاستعدَّت للقائها فما تركتها تفوز في اول واقعة فتغتر ويحملها الغرور على مداومة القتال

وكان الاقدمون يحتفلون باعلان الحرب احتفالاً عظيماً ولا تفتح امة على امة حرباً ما لم تنذرها مراراً . فكان عند الرومان طائفة من الفقراء لا عمل لها الاَّ اعلان الحرب للخصوم قبل الشروع فيها وجرت اوربا على هذه الخطة حتى انهُ لما عزم لويس الثالث عشر ملك فرنسا على محاربة اسبانيا في اوائل القرن السابع عشر بعث نذيرهُ الى بلاط ملك اسبانيا ينذرهُ بذلك. ثم لما عزم كارلس العاشر ملك اسوج على محاربة الدنمارك لم يسر خطوةً قبلما وصل نذيرهُ الى عاصمة الدنمارك وانذر ملكها بعزمهِ على محاربتها

ولما نشبت حرب القرم بعثت روسيا تنذر الباب العالي بذلك قبل وقوع القتال بثلاثة ايام ثم لما حاربتهُ ثانية سنة ١٨٧٧ انذرتهُ بالحرب يوم عبرت جنودها تخوم رومانيا . وكذلك لما

عزمت فرنسا على محاربة المانيا امرت وكيلها في برلين ان يعلن بسمارك بذلك . الاَّ ان الحروب التي ابتدأت قبل اعلانها اكثر من الحروب التي ابتدأت بعد اعلانها حتى جرى عندهم القول المأثور اضرب ثم اعلن

واسباب هذه الحرب طمع الدول الاوربية في مملكة الصين الوسيعة فان كل دولة منها تخاف ان تستأثر غيرها بنصيب اكبر من نصيبها ولذلك اتفقت كلها على الامتناع عن تجزئتها وعلى منع ارتقائها . ومدت روسيا سكة الحديد في سيبيريا واوصلتها الى منشوريا وهي الجزء الشمالي الشرقي من بلاد الصين وابلغتها بحر الصين وادَّعت ان الصين لا تستطيع حفظها لاختلال الاحكام فيها فاحتلَّت منشوريا كلها بحجة المحافظة على هذه السكة . فانذرتها الدول مرارًا بالجلاء عنها وفي جملتها دولة اليابان فلم تجل ورأت اليابان ان بقاء روسيا في منشوريا يتهدَّد بلاد كوريا ولليابان مصالح جمَّة في تلك البلاد فطلبت منها الجلاء عن منشوريا او تنصل الحرب بينهما فطلبتها روسيا في الجواب ولعلها قصدت ان يجتمع لها اسطول كبير هنالك قبل ذلك فلم تستطع اليابان صبرًا وقطعت العلائق السياسية مع الروس في ٥ فبراير وارسلت جنودها الى شمولبو مرفإ سيول عاصمة كوريا في ٨ فبراير وامرت اسطولها بالهجوم على اسطول الروس في بورت ارثر . وبورت ارثر هذا مرفأٌ شرقي باكين تنتهي فيهِ سكة منشوريا وقد استأجرهُ الروس من الصينيين وحصنوهُ وجمعوا اسطولهم فيهِ فهجم عليهِ الاسطول الياباني في الثامن من فبراير واستأنف الهجوم في التاسع منهُ وقد وصف مكاتب الداىلي مايل هذه المعركة وصفًا سهلًا قال

معركة بورت آرثر

وصلت في ١٠ فبراير الى ينهو (بمنشوريا) في قطر خصوصي من بورت ارثر وكتبت رسالتي هذه وانا فيهِ حتى لا ابطئ في ارسالها فاني لم اجد سبيلاً الى الخروج من بورت ارثر قبلاً ولا الى ارسال تلغراف طويل كهذا اذ قد منعوا السفن كلها عن السفر من بورت آرثر منذ حدوث المعركة امس الثلثاء وخصوا تلغراف سكة الحديد برسائل رجال البحرية والجيش وغيرهم من موظفي الروس دون سواهم

هذا وفي صباح يوم الاثنين (٨ الجاري) صدرت الاوامر الخصوصية الى جميع الضباط وصف الضباط والعساكر البحرية التي في السفن الروسية والمدَّثق العسكري البحري بالانتقال الى البوارج الروسية الراسية خارج مدخل الميناء في بورت ارثر وهذا المدخل يغلق كل ليلة . وفي منتصف الليل استيقظ اهل بورت ارثر على اصوات المدافع الكبيرة فاسرعتُ الى بطرية

التل واشرفت منها على البحر فرأيت ست نسافات يابانية (سفن التوربيد) قد اقتربت من الاسطول الروسي حتى صارت على بعد نصف ميل منهُ فقط وقد حاكت بوارج الروس في انوارها ومداخنها واشاراتها واعلامها كل المحاكاة ودنت منها جدًّا قبل ان تشعر بها . ثم اطلقت كلها طرايدها عليها فاصاب ثلثة منها البارجتين الروسيتين زاروتش وريتيزان والطراد

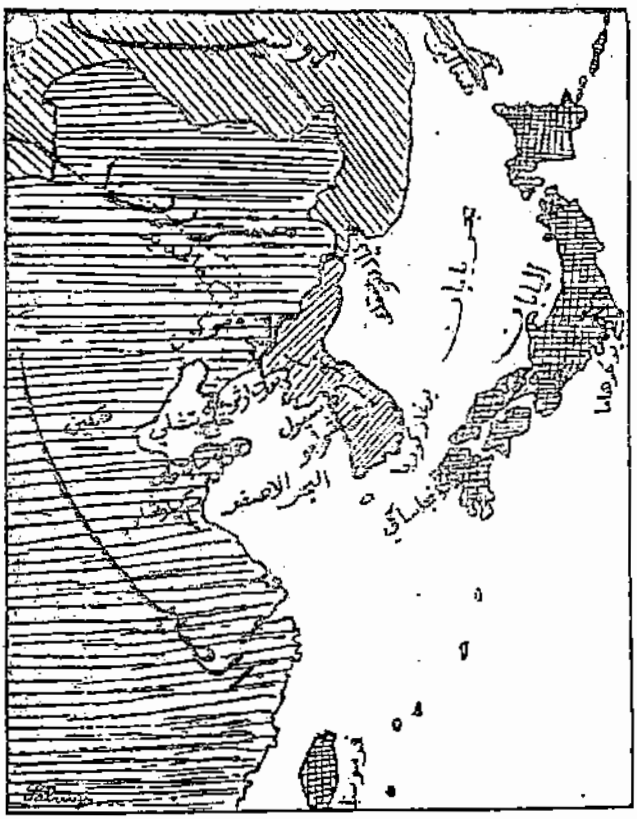

الروسي بلاَّده وطاشت البقية . فعادت هذه البوارج الثلاث الى مدخل الميناء حذرًا من الغرق اذا بقيت في الماء العميق واطلقت البوارج والحصون الروسية نارًا حامية متواصلة على النسافات اليابانية لكن اربعًا منها نجت من نار العدو وصيبت الخامسة فغرقت واشرفت السادسة على الغرق ففرَّ بحارتها منها ونجوا بانفسهم ثم استحوذ الروس عليها قبلما تغرق وبعد ما ولَّت النسافات اليابانية سارت الطرادات الروسية بقيادة الاميرال البرنس اخوتمسكي للبحث

والاستكشاف ثم عادت وانتهت المعركة الساعة الثالثة بعد نصف الليل وقد خسر الروس فيها ثمانية قتلى و٢٠ جريحاً ولم تصب العمارة الروسية ولا حصون الروس بضرر كبير ما عدا تعطيل لبارجتين والطراد التي مرَّ ذكرها وكان في الميناء نسافات روسية كثيرة وكذلك مدمرات روسية ولكنها لم تكن مستعدة حينئذٍ لدفع هجمة النسافات اليابانية . فقد فاجأ اليابانيون الروس بهجومهم وادهشوا الناس بخفة حركاتهم وما بدا من جرأتهم وشجاعتهم

وفي صباح الثلثاء (٩ الجاري) جاءت الاخبار من دالني (مدينة بالقرب من بورت آرثر) انهم رأوا الاسطول الياباني متوجهاً غرباً مصطفاً في شكل الهجوم وقبل الظهر بساعة رأيناهُ مقبلاً . وقد اصطفت بوارجهُ صفين وهي خمس عشرة ست بوارج وستة طرادات من الطراز الاول وثلثة من الطراز الثاني . وكان للروس حينئذٍ خارج الميناء ثلاث عشرة من البوارج والطرادات الكبيرة بقيادة الاميرال صتارك وهذه غير الثلاث التي عطلت واستقرت على الارض في مدخل الميناء الداخلي . وكان الجزر حينئذٍ

فدار القتال وابتدأت المعركة باطلاق البطرية البرية لمدافعها الكبيرة وكانت الريح تهب خفيفة والدخان يحجب ما يجري عن العيون ولكني رأيت كل ما يرى عن تل هناك مقابل مدخل الميناء . فوقعت قنبلتان بالقرب مني ونحو عشرين قنبلة في القسم القديم من المدينة والميناء الغربي حيث كانت بواخر كثيرة راسية من بواخر الامم التي على الحياد . ولما ابتدأت المعركة فرَّ اهل المدينة منها الى تل يقيهم شر القنابل وانفجرت قنبلة كبيرة من قنابل اليابانيين فدمرت بعض المحلات الكبيرة والبنك الروسي الصيني . وكان الناس قد هجروا الشوارع ووقف رجال البوليس يحفظون النظام واظهرت النساء والاطفال شجاعة عظيمة وتقاطرت العساكر من الثكنات المجاورة لتحتل اماكن منيعة وتصد اليابانيين عن النزول الى المدينة اذا حاولوا النزول اليها

وجرت بوارج اليابانيين تمخر غرباً حتى اذا قابلت البارجة منها بوارج الروس على بعد اربعة اميال اطلقت مدافعها عليها وكانت بوارج الروس على بعد ميلين من الشاطئ . واشتبك القتال بين الاسطولين بالمدافع فعددت اكثر من ٣٠٠ قنبلة من قنابلها لم يصل منها الى الغرض الاَّ القليل وبعضها لم ينفجر وانتهى اطلاق المدافع عند الظهر وجرت البوارج اليابانية جنوباً بعد ما خسرت بارجة واحدة وعُطِّل طراد كبير منها وطارد الطراد الروسي نوفيك سفينة صغيرة يابانية واغرقها ثم اصابتهُ قنبلة عند حد الماء ولكنهُ وصل الى الميناء سالماً فهنأ الاميرال صتارك ربانهُ القبطان اسن بالاشارة قائلاً احسنت احسنت وهتفت لهُ بوارج الروس كلها

بالتهاني . وكانت السفن الثلاث التي عطلت تطلق مدافعها على اليابانيين ايضاً مع سائر البوارج الروسية ساعة المعركة ثم جاء مدّ البحر فطفت احداها زاروتش ونطرت الى الحوض الكبير حيث تصلح الآن واما الطراد بلاده فقد اصلح ما عطل فيهِ بنفسهِ وانضم الى الاسطول واما البارجة رتفيزان فكانت لا تزال مستقرة على الارض عند خروجي من بورت آرثر . واصيبت الباخرة كازان من بواخر الاسطول المتطوع بقنبلة في الميناء الداخلي . وعاد السكون كما كان في الساعة الاولى بعد الظهر وجيء بالجرحى الى المستشفى انتهى . ثم اتضح من الاخبار التي وصلت بعد ذلك ان مدافع اليابانيين اصابت بارجة وثلاثة طرادات روسية في ذلك اليوم وان الروس خسروا في هذه المعركة ٩٠ نفساً بين قتيل وجريح ويقول اليابانيون انهم خسروا ٥٨ نفساً

وهجم اسطول ياباني آخر في ٩ فبراير على مرفإ شمولبو غربي كوريا وكان فيهِ طرّاد روسي ومدفعية روسية وجرى بينهُ وبينهما معركة هائلة وصفها مكاتب الدايلي مايل في سيول عاصمة كوريا فقال

معركة شمولبو

ان السفينتين الروسيتين الحربيتين وهما الطراد فاريانق والمدفعية كوريتز حصرتا في مرفإ شمولبو فلم تجدا الى النجاة سبيلاً وحاولت المدفعية كوريتز الخروج من المرفإ بعد ظهر الاثنين (في ٨ الجاري) فرأت امامها الاسطول الياباني وهو مؤلف من ستة طرادات ومتلفتين وثماني نسافات فاضطرت ان تعود الى مكانها

وانزل اليابانيون جنوداً من سفن النقل ثم اعلنوا قومندان السفينتين الروسيتين بالحرب وبانهم يهاجمونهُ في المرفإ اذا لم يخرج منهُ حتى ظهر يوم الثلثاء واعلنوا ايضاً قومندانات بقية السفن الحربية التي على الحياد (بابتداء الحرب)

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء تفاوض قبطان الطراد فاريانق مع رؤساء السفن الانكليزية والفرنسوية والايطالية على ظهر السفينة تلبت الانكليزية وطلب حمايتهم في خروجهِ من المرفإ فلم يلبوا طلبهُ فعاد الى سفينتهِ . وللحال اخذت السفينتان فاريانق وكوريتز تخففان حملهما بطرح ما فيهما من الخشب ونحوهِ في البحر واجتمع بحارتهما وانشدوا النشيد الروسي الوطني وكانت الموسيقى تصدح فيهما وهما سائرتان الى نزال الاسطول الياباني

ووقف الضباط والبحارة في السفن الانكليزية والايطالية والفرنسوية وجعلوا يحيون البحارة الروسيين باعلى اصواتهم وسار زورق انكليزي الى سفينة الاميرال الياباني وسلم اليهِ رسالة

قبل القتال فيها الاحتجاج على ما يفعلهُ . وكان الاسطول الياباني بقيادة الاميرال اوريو علي ستة اميال من السفن الاجنبية التي في المرفإ . وقبل الظهر بعشر دقائق اطلق طراد ياباني قنبلة قطرها ثماني بوصات على السفينتين الروسيتين وهما خارجتان من المرفإ ثم اطلق قنبلة ثانية وثالثة وحينئذٍ اجابهُ الروسيون وكان المدى بينهم وبينهُ ٢٤٠٠٠ قدم

واصطف الاسطول الياباني للقتال وعند الظهر اشتركت سفنهُ كلها في اطلاق المدافع اطلاقاً متواصلاً على السفينتين الروسيتين وكان اكثرها مسدَّدًا على الطراد فارياق وحاول الروس الخروج من خط النار ولكن اصابت الفارياق خمس قنابل الواحدة بعد الاخرى وكانت مدافع اليابانيين الرشاشة تحصد رجالهُ حصدًا واصابت قنبلة منها رجال مدفع فقتلتهم او جرحتهم كلهم الاَّ واحدًا واصابت قنبلة اخرى مدفعاً فاحرقت الذخيرة كلها ومزقت قنبلة خشب المرقب وحرقتهُ فاضطر المدفعية ان يبطلوا اطلاق المدافع نحو خمس دقائق لان الفارياق صار شعلة من نار وكانت القنابل تشويهم شيًا وتمزق اعضاءهم تمزيقاً ولكنهم بقوا امام مدافعهم يطلقونها بالاحكام

اما المدفعية كوريتز فلم يلحق بها ضرر كثير ولم يصب احد من بحارتها على ما يظهر وحاول الفارياق الاحتماء بجزيرة هناك ولكن اصابت قنبلة آلتهُ التي تدير الدفة فعزم قبطانهُ ان يعود بهِ الى المرفإ ويلقيهُ على البر حتى لا يأسرهُ العدو ولكنهُ اضطر ان يتأخر في رجوعهِ الى المرفإ لان الكوريتز بطيئة السير وظل يطلق مدافعهُ على العدو في رجوعهِ الى ان دخل المرفأ ورسا على ٩٠٠ قدم من السفينة الانكليزية وحينئذٍ بعثت اليهِ السفن الراسية في المرفإ بالجراحين وقد قتل من رجالهِ اربعون رجلاً وضابط واحد وهو الكونت نيارد وجرح منهم ٦٤ وضابطان اما الذين اصيبوا من رجال الكوريتز فقلائل جدًا وادعى اليابانيون انهُ لم يصب منهم احد وان القنابل الروسية لم تصب سفنهم

واعلن قبطان الفارياق عزمهُ على نسف طرادهِ والمدفعية كوريتز فنقل رجالها الى السفن الاجنبية الراسية في المرفإ ونسف المدفعية كوريتز في الساعة الرابعة تماماً وفتح ابواب الماء في الطراد فارياق واغرقهُ بعد ان اشعل ما فيهِ من الذخيرة وحرقهُ لكي لا يقع في يد اليابانيين وحرق ايضاً الباخرة الروسية شنغاري لكي لا تقع في يدهم

ولم يذكر هذا المكاتب ولا مكاتب النيويورك هرالد الذي شهد هذه المعركة ووصفها وصفاً مطولاً ايضاً ما لحق ببوارج اليابان من الضرر ولكن المسيو باولوف الذي كان سفير روسيا في كوريا قال ان السفينتين الروسيتين اغرقتا طرادًا يابانيًا وعطلتا آخر تعطيلاً كليًا

حتى غرق قبلنا حُرقتا وغرقتا واما اليابانيون فينكرون ذلك . وفي ذلك اليوم احتلّ اليابانيون مدينة سيول عاصمة كوريا

وفي ١١ فبراير مر الاسطول الروسي الذي كان في فلادفوستك بمرأى من جزيرة يزو اليابانية واحرق سفينة تجارية يابانية. وفي ذلك اليوم مست الباخرة الروسية ينيسي التي تركب الالغام لغماً عرضاً فسفنها واغرق ٥٦ نفساً فيها

وفي ١٣ منهُ عادت بعض النسافات اليابانية الى بورت آرثر واطلقت بعض طرايدها على البوارج الروسية ثم رجعت وهي تظن انها اصابت بارجة بطرايدها والروس يكذبون ذلك ويقولون انهُ في ١٤ الجاري مست قنبلة سفينة من سفنهم المتطوعة فلم تلحق بها ضرراً يذكر

وفي ٢٣ فبراير عاد اليابانيون يرومون سد مدخل الميناء في بورت آرثر فاحبط الروس سعيهم في ذلك وتفصيل الخبر ان اليابانيين ارسلوا اسطولاً من نساناتهم تحت جنح الظلام مع اربع بواخر مشحونة مواد مفرقعة وملتهبة قاصدين ايصال تلك البواخر الى مدخل الميناء واغراقها فيهِ لسدهِ فدنوا من المدخل بعد نصف الليل باعتين و٤٥ دقيقة وتم يحسبون ان الروس نائمون او لاهون كما وجدوهم في هجمتهم الاولى ولكن الروس احسوا بهم قبل ان يبلغوا المدخل فابتدروهم بالقنابل من البارجة رتفيزان ومن المدافع التي على البر حتى اذا اصبح الصباح وجدوا انهم قد دمروا البواخر الاربع وان ثماني نسافات يابانية فقدت راجعة الى الاسطول الياباني فجد ثلاثة طرادات روسية في اثرها ثم عادت والظاهر انها لم تدركها وانهُ لم يسفك دم في هذه المعركة . وقد بقي مدخل الميناء مفتوحاً كما كان وعاد اليابانيون بخسارة البواخر الاربع . هذه هي رواية الاميرال الكسيف الرسمية ويستدل من رواية هافاس ان الفضل في رد اليابانيين على اعقابهم كان للبارجة رتفيزان التي عطلتها النسافات اليابانية بالطريد في هجمتها الاولى على بورت آرثر

واستأنف اليابانيون الهجوم على بورت آرثر مراراً بعد ذلك لكي يسدوا مدخلهُ ويحصروا العمارة الروسية فيهِ فلم يفلحوا حتى اليوم الاخير من شهر فبراير حين كتابة هذه السطور

هذه خلاصة ماجرى بحراً واما براً فاهم ما طيرهُ الينا البرق ان الاميرال الكسيف انتقل باركان حربهِ الى خربين حتى اذا ظفر اليابانيون في المستقبل بتخريب سكة الحديد وحصار بورت آرثر كان هو واركان حربهِ خارجها . وان الجنود اليابانية التي احتلت عاصمة كوريا زحفت قاصدة نهر يالو الفاصل بينها وبين منشوريا وان الجنود الروسية تسير قاصدة ذلك النهر وقد عبرهُ بعضها استعداداً لملاقاة الجنود اليابانية . وان الاسطول الروسي الذي مرّ

بالسويس منذ مدة ووصل الى جيبوتي بقيادة الاميرال وير يتيوس عاد بامر من حكومته راجعاً الى روسيا ولكنهُ لم يعبر قنال السويس حتى الآن

وقد اغتاظ الروس من فعل اليابان غيظاً شديداً ونشرت حكومتهم منشوراً رسمياً في ١٨ فبراير قالت فيهِ

"لقد مضى ثمانية ايام منذ اهتزت روسيا كلها سخطاً وحنقاً على عدو قطع المفاوضات فجأة ورام ان ينال فوزاً هيناً في حرب طالما تمنادا بمهاجمتنا غدراً . فالامة الروسية تروم الانتقام العاجل بذاهب الصبر وتنتظر اخبار الشرق الاقصى باهتمام لا مزيد عليهِ وكل من تدبر اتحاد الشعب الروسي وقوتهُ لا يبقى عندهُ ريب في ان اليابان ستلقى العقاب الذي تستحقهُ على غدرها واثارتها للحرب حين كان قيصرنا المحبوب باذلاً جهدهُ في تأييد السلام بين الامم

"على ان الاحوال التي تجري هذه الحرب فيها تضطرنا الى الصبر والانتظار حتى تأتينا اخبار انتصار جنودنا وذلك لا يكون قبل ان يحارب الجيش الروسي العدو في معارك فاصلة وبعد ساحة الحرب عنا ورغبة القيصر في المحافظة على السلم لم نستعدّ لهذه الحرب قبل وقوعها بزمان طويل . فلا بد من مرور زمان طويل على روسيا حتى تضرب اليابان الضربات التي تليق بقدرها وتناسب قوتها وتؤدب تلك الامة التي استفزتها الى هذه الحرب التأديب الذي تستحقهُ مع بذلنا الجهد في حقن دماء ابنائنا . فلا بد لروسيا الآن من انتظار ذلك بالصبر الجميل موقنة ان جيشنا ينتقم لنفسهِ مئة ضعف من عدونا . ولا بد من انتظار الحرب برّاً مدة ايضاً وكذلك اخبار الحرب لا تأتينا من ساحة الحرب باكراً . ولا يليق بعظمة روسيا وقوتها ان تسفك دماء ابنائها على غير جدوى . هذا وان بلادنا تظهر من الاتحاد والرغبة في افتداء مصلحة الامة بنفسها حتى ان كل خبر حقيقي يأتينا من ساحة القتال يكون حقاً للامة كلها فتطلع عليهِ حالاً"

وقد اطلعنا على وصف مسهب للاسطول الروسي والاسطول الياباني في جريدة السينتنك اميركان التي يعوّل عليها في هذه المسائل فنشرنا خلاصتهُ في باب الاخبار في هذا الجزء . وفضلنا نشر هذا الفصل عن الحرب هنا على نشر ما كنا نريد نشرهُ من فلسفة سبنسر لان للحرب الحاضرة اكبر شأن في مصالح البشر وعليها وسيكون مدار المناظرة القديمة العهد بين الشرق والغرب . فان فازت روسيا ومحقت دولة اليابان بقي الفوز للغرب على الشرق قروناً كثيرة وان فازت اليابان ولم تعارضها اوربا في إنهاض بلاد الصين فلا يبعد ان يعود الفوز للشرق في بلاد الشرق في القريب العاجل

لباس الرأس

اذا أَلف الانسان عادة وتأصلت فيهِ تصبح لديهِ في حكم الاعمال المقدسة فيعدّ الاستهانة في الدفاع عنها من الباقيات الصالحات والاستهانة بشأنها من السيئات المرديات

والناظر في الاديان السماوية الشائعة لا يعثر في تضاعيف اسفارها على ما يحتم عليهِ ان يتمسك بهِ من العادات اللهمَّ الاَّ ما كان لهُ علاقة بالاخلاق والآداب اذ الديانات ما جاءت الاَّ لتدعو الى معرفة الصانع المبدع وتكفَّ من تعادي البشر وتردعهم عن سُبُل الغواية وتطهر نفوسهم واعدة بمعادٍ ثانٍ كلٌّ من اصلح اعمال قلبهِ وتقرَّب بانواع الزُّلفى من ربهِ . وما ظهرت الاديان كما وهم الواهمون لتعريف العلوم وتحديد الصناعات وما يحتاجهُ الناس في هذه الحياة الدنيا

ولقد لفظ بعضهم هذه الآونة في مصر والشام بفتوى استصدرها احد سكان الترنسفال في الوخشة بلبس المسلمين القُبَّعة [1] مجاراةً لمواطنيهم من الافرنج وتنادياً من ان يناهم اذًى اذا ظلوا محتفظين بشعار رأسهم حتى كاد يوقن من لا يعرف الاسلام ان لبس القبَّعات من العلامات وان ماتواطأ اهل هذا العصر على ستر رؤوسهم بهِ من الصوف او النرو او القش او الحرير او القطن على اختلاف اشكالهِ هو هو عماد الدين وأمّ اساس اليقين . على ان الامر اقلُّ مما توهموهُ واكبروهُ يناقضهُ ما ورد في الحديث الصحيح من ان الشارع الاعظم قال كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة . وقال ابن عباس كلّ ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان سرف او مخيلة

وقد ثبت انهُ عليهِ الصلاة والسلام لبس الجبة الرومية مع انها من لباس النصارى واكتسى الطيلسان [2] الكسروي وهو لبوس مجوس الفرس وكذلك الصحابة لم يتحرجوا من لبس اهل البلاد التي افتتحوها نصارى كان اهلها ام مجوساً . وصحَّ ان الناس نساءً ورجالاً لبسوا البرانس [3]

(١) القبعة كقنبرة خرقة تغاط كالبرنس كان يلبسها الصبيان وقد اطلقت على « البرنيطة » لما بينهما في الاولى والثانية من الشبه . جاء في تاج العروس وصاحب القبيح مصغرًا لقب الشريف عمر بن احمد الاهدل اليمني لانهُ كان يلبسهُ دائمًا على راسهِ وهو مثل القلنسوة من خوص النخل

(٢) الطيلسان مثلثة اللام وليس عربيًا اصلهُ بالفارسية تالسان قال في التاج ومن المجاز يقال في الشتم يا ابن الطيلسان اي انك اعجمي لان العجم هم الذين يتطيلسون وجمع الطيالسة

(٣) جاء في التاج البرنس بالضم قلنسوة طويلة وكان الناس يلبسونها في صدر الاسلام قالهُ الجوهري او هو كل ثوب رأسهُ منهُ ملتزق بهِ دراعة كان او جبة او مقطرًا قالهُ الازهري وصوبوهُ وهو من البرس بالكسر القطن والنون زائدة وقيل انهُ غير عربي

اول الفتح من غير نكير مع انها من لبوس اهل النصرانية. وقد سئل مالك عن البرنس وكان من لباس الرهبان فقال لا بأس بهِ قيل لهُ فانهُ من لبوس النصارى قال كان يلبس ههنا. وقال عبدالله بن ابي بكر ما كان احد من القراء الاَّ لهُ برنس رواهُ بن حجر. وجاء في سفر السعادة للفيروزابادي انهُ صلى الله عليهِ وسلم لبس السراويل ولبس العمامة بغير قلنسوة[٤] ومع القلنسوة والقلنسوة بغير العمامة وكان يجعل العذبة بين كتفيهِ في اكثر الاحوال. قال وكان يلبس الثوب المعلم والثوب الساذج والثوب الاسود والفرو المعلم على اطرافهِ بالسندس وكان لهُ جبة خسروانية مفرّجة عليها سجف من الديباج مخيطة واما الطيلسان فانهُ كان يلبسهُ حال الحركما في اليوم الذي أمر فيهِ بالهجرة فانهُ جاء في نصف النهار الى بيت ابي بكر وهو مطيلس واما حديث انس كان يكثر القناع يعني يلبس الطيلسان كثيرًا فحملهُ بعضهم على اوقات الضرورة وفي السفر

ويروى ان ابا يوسف من اصحاب ابي حنيفة ارتأى تخصيص العلماء بزيّ خاصّ في الملبس ليُعرفوا فيطاعوا وتكون كلمتهم العليا اينما حلوا فتابعهُ على هذا الرأي بعضهم واراد ان يبرّر هذا التجوز ويجعل لهُ مأخذًا من الدين. قال محمد صديق حسن خان في حسن الاسوة في تفسير قولهِ تعالى "يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين من جلابيبهنّ ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين" : واستنبط بعض اهل العلم من هذه الآية ان ما يفعلهُ علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الاكمام والعمة ولبس الطيلسان حسنٌ وان لم يفعلهُ السلف لان فيهِ تمييزًا لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى فتاواهم واقوالهم. قال السبكي ومنهُ يعلم ان تمييز الاشراف بعلامة امر مشروع ايضًا انتهى. واقول ما ابرد هذا الاستنباط وما ابعدهُ وما اقلّ نفعهُ وجدواهُ لاسيما بعد ما ورد في السنة المطهرة من النهي عن الاسراف في اللباس واطالتهِ وقد منع من ذلك سلف الامة وائمتها فاين هذا من ذاك وانما هو بدعة قبيحة شنيعة مردودة على صاحبها احدثها علماء السوء ومشايخ الدنيا ومن هنا قال علي القاري في معرض الذم لاهل مكة لهم عمائم كالابراج وكمائم كالاخراج. وما ذكرهُ من ان زيّ العلماء والاشراف في هذا الزمان سنة ردّهُ ابن الحاج في المدخل بانهُ مخالف لزيهم في زمن النبي وزمن الخلفاء الراشدين وبعدهم من خير القرون فان قيل انهم بهِ يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزيّ الاول لعرفوا بهِ ايضًا لمخالفتهِ لما عليهِ غيرهم الآن اه

(٤) القلنسوة والقلنسية اذا فتحت القاف ضممت السين واذا ضممت القاف كسرتها تلبس في الراس ج قلانس وقلانيس وقلنس

وليس لدينا الآن من مستند اكيد يُنبئنا بتبدُّل اللباس حيناً بعد آخر الاَّ بقايا مما نُضد في المتاحف العامة من تماثيل الناس وعُرض من ازيائهم على اختلاف العصور والاقطار. قال احدهم اذا اردت ان تعرف العالَم فانظر الى بيتك وعلى من احب الوقوف على ازياء أُمة ان ينظر الى حالتها الحاضرة ويقيس الحاضر بالغابر فالتاريخ يعيد نفسهُ وما اشبه الليلة بالبارحة

وإنك لترى المغربي اليوم يلبس من الثياب ما لا عهد للمصري بهِ ولهذا من الازياء الخاصة ما يباين لباس العراقي والشامي. وللفارسي والطاغستاني ازياء يختلف بعضها عن بعض على قرب الجوار وكذلك اليلوجستاني والافغاني والصيني والهندي والبخاريّ والجاويّ واليمانيّ والزنجباريّ والسوداني والصومالي فلكل من هؤلاء الاجناس زيّ خاص برؤوسهم وابدانهم فمن برنس الى عمامة خضراء او بيضاء الى طربوش اسود او احمر الى عقال وكوفية الى لبادة وقبعة قش او صوف الى قلنسوة وعرقية وكلها تدور على وقاية الرأس من لافح الحر ونافخ البرد

وقد يختلف هذا الزي في القطر الواحد نفسهِ والبلد الواحد ولا يُعلل ذلك الاَّ بتشتت الاهواء واختلاف التربية والملكات خصوصاً في اهل قطر قضي عليهِ ان يكون مزيجاً من اجيال الناس وعناصر بني آدم. حتى ظن مرة احد سياح الافرنج وهو يجول في شوارع دمشق وقد رأى اختلاف الناس في ازيائهم وهندامهم وشاهد انواع الالبسة والاكسية ان عند القوم مرفعاً (كرنفال) ليس لهُ كلٌّ ما يغش بهِ صاحبهُ لتنقلب سحنتهُ وسيمتهُ لما رأى من وجه الشبه بين سكان تلك الحاضرة واهل بلادهِ في اكتساء بعض ابنائها اكسية غريبة للاستضحاك والمزاح في ايام معلومة من السنة

سرى داء الازياء في اهل هذه البلاد وخصوصاً المسلمين منهم فكان لباسهم مدة ثلاثة عشر قرناً وربع قرن تابعاً لتواعل الزمن وعوامل الحكام والاعاظم. ومن العادة ان يتشبه المغلوب بشعار الغالب ومن العادة ان يسنّ عليّة الناس العادات ويتشبّه بهم سائر طبقات القوم اذ يعتقدون الحسن والمصلحة فيما يصدر عن الكبير ويزعمون الخير في تقليدهِ. وقد عقد ابن خلدون فصلاً في ان المغلوب مولع ابداً بالاقتداء بالغالب في شعارهِ وزيهِ ونحلتهِ وسائر احوالهِ وعوائدهِ فما قالهُ فيهِ وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهلهِ زيّ الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انهُ اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد من امم الجلالقة (٥)

(٥) جلجلية كاثريقية بلد بالروم متاخم للاندلس واليهِ ينسب عبد الرحمن بن مروان الجلبقي من الخارجية بالاندلس والجلالقة جيل من الناس (تاج)

فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت

لاجرم ان تغيير الازياء جرى على ما اقتضتهُ حالة المجتمع والسياسة والذوق الخاص بل تصرف على قاعدة بقاء الانسب وارتقاء الازمان. فان المنصور لما رأى الحاجة ماسة الى الاتحاد في لباس الرأس وكانت بدأت المدنية تدبُّ في اعصاب أُمتهِ ودولتهِ الزم الرعية على ما روى الذهبي بلبس القلانس الدنّية مشبهة بالدن [٦] في طول شبرين تعمل من ورق على قصب وتغشى بالسواد قريبة الشبه من الشربوش. قال ابن الاثير وسنة ١٥٣ اخذ المنصور الناس بتلبيس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال ابو دلامة

وكنا نرجّي من إمام زيادة فزاد الامام المصطفى في القلانس
تراها على هام الرجال كانها دنان يهود جُلّلت بالاطالس

ولما عزم السلطان محمود العثماني على استبدال البسة الجند والعمال باللباس الاوربي والاستعاضة عن العمائم العجراء والقواويق بالطرابيش استصدر فتوى من باب المشيخة الاسلامية في لباس السراويل القصيرة على شرط ان لا تكون ضيقة لئلا يحصل التشبه بالافرنج ثم ضاق السراويل على طرفي المدى واصبح كسراويلات الافرنج ومعاطفهم «جاكيتات» وتحسنت حالة الطربوش الى ما نراها عليهِ لهذا العهد وتنوسي انهُ من لبوس الروم

وبعد فان تغيير العادات من شاقّ الاعمال لا يعمل فيها الاّ الأُسوة والتدوة وحب التقليد والزينة فلا تؤثر فيها القوانين الدينية ان وجدت ولا المدنية ان وضعت. قال مونتسكيو في كتابهِ روح الشرائع اذا اراد الحاكم تغيير عادات امة وطبائعها يجب ان يكون ذلك باستبدالها بغيرها لا بقوة القوانين لان القوانين من وضع الحاكم وخاصة بهِ اما الاخلاق والعادات فهي من وضع الامة عامة. وضع بطرس الاكبر احد اعاظم قياصرة الروس قانوناً قضى بهِ على امتهِ ان يحلقوا لحاهم ويلبسوا ثياباً قصيرة كالاوربيين فاقام الجند تكمن في الطرق لتقبض على من خالف هذه الاوامر وتقصر الثياب الطويلة الى قبيل الركبة. قال مونتسكيو وتلك طريقة مجحفة لانهُ لم يكن من حاجة لهذا الملك ان يضع قانوناً توصلاً الى هذا التغيير بل كان يتأتى لهُ الاكتفاء بفعلهِ هو بنفسهِ ليتخذهُ الناس مثالاً

(٦) قال صاحب القاموس دنية القاضي قلنسوته شبهت بالدّن والدن الراقود العظيم او اطول من الحب او اصغر له عكس لا يقعد الاّ ان يحفر له قاله الشريشي في شرح المقامة التاسعة للحريري ان اصل الدنية الدنينة كسنينة وهي قلنسوة محددة الاطراف يلبسها القضاة والاكابر وليست من كلام العرب وهي عراقية

وقال بتنام الانكليزي في اصول الشرائع وغرض بطرس الاكبر من هذا الامر اما ان يكون ارضاء لهواه الخاص لاستقباحه لباس امته القديم واستحسانه لباس الاوربيين واما ان يكون قصد الى تهذيبهم وجعل اخلاقهم وطباعهم على مثال الاخلاق الاوربية التي كان يعتقد انها احسن طريق توصلهم الى السعادة فرأى ان التشبه في الاخلاق يلزم ان يتقدمهُ التشبه في اللباس ليتجانس الفكر بين الاثنين . وقال ان مجلس النواب الانكليزي اصدر قانوناً سنة ١٧٤٥ يقضي بهِ على سكان جبال ايكوسيا ان يخلعوا لباسهم الملي وكان الغرض من هذا القانون امراً سياسياً لان هؤلاء الجماعة تعلقوا بهذا اللباس واحتقروا سكان السهول لاكتسائهم الاكسية الاوربية من عهد بعيد فلما لبس زعيم اولئك الجبليين هذا اللباس العتيق اهتزوا طرباً منهُ وانضووا تحت لوائهِ وثاروا على الحكومة فاخضعتهم واطفأت ثائرتهم وطمعت حينئذٍ في ابطال هذا اللباس وكان يهيج في نفوسهم افكاراً قديمة تجعلهم حزباً واحداً وما كان هذا الامر لينسيهم ذاك اللباس بل كانت ذكراهُ تتجدد على المدى ودام العمل على هذا خلال نصف قرن تقريباً حتى ظهر للحكومة ان لا فائدة فيهِ وثبت لها وجه ضررهِ فالغتهُ واصبح رجال هاتيك الجبال من اعظم ابطال الجنود واهل الاخلاص من رجال السيف عند الانكليز ولا يبعد ان تفتر هممهم وتضعف عزائمهم لو عاملتهم انكلترا بالاكراه والقسر

نتج من هذه القواعد ان الحاكم اذا اراد احداث تغيير مهم في الامة يجب عليهِ ان يسير الهوينا ويتجانب الطيش والتطرف تفادياً من ايقاد ثائر الشهوات وتحريك النفوس على الانتقاض مما عساهُ يغضبهُ ويوغر صدرهُ وليجتهد ما استطاع ان لا يوجد لهُ اعداء شملهم اليأس . والاشبه بهِ ان يلاطف الجميع ويوفق بين غرضهِ ومرضاتهم ويحترم المنافع كافة ويعوض على الخاسرين ويتحد مع الزمان كيفما كان لان الزمان اكبر مساعد على كل تغيير فهو كالكيماوي يوافق بين المتضادات ويذلل عامة العقبات ويجذب قلوب المخالفين ولا ينبغي للانسان متى كانت القوة الحقيقية في قبضتهِ ان يستخدمها ليريها الناس بل الاجدر بهِ ان يكشف عنها نصف الغطاء لان ذلك ادعى الى النجاح . انتهى

وجملة القول فان اللباس ذوقي حاجي تعمل في تغييرهِ السادات والعادات لا الشرائع والنظامات . والجهاد يغلب فيهِ الاقوياء ويجبن الضعفاء . وما ابعد ان من قدروا ان يصرّفوا على المشرق ضروباً من مذاهبهم وملابسهم ومطاعمهم ومشاربهم يتسنى لهم يوماً ان يصبغوا العالم كلهُ بصبغتهم في كل حال من احوالهِ ليساووهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل او يأتي على الجامدين تيار مدنية الغرب فيجعلهم صرعى كاعجاز نخل خاوية

محمد كرد علي

الخصومة والقضاء عند العرب

كان العرب في جاهليتهم يتماجدون ويتنافرون ويتناخرون وكل ذلك عندهم خصومة تقتضي قضاء . والمماجدة او المجاد ان يدعي كلٌّ من الخصمين انهُ اعزُّ شاناً من الاخر ويتباريان في ذبح الجزور وذلك نظير ما حدث بين حاتم وبني لام الطائيين . وكان من عجز عن مباراة خصمهِ يعدُّ مغلوباً وذلك لان المماجدة تقتضي مناجدة الاهلين ومن كان اغنى عصبةً واعزَّ ناصراً كان جانبهُ الاقوى . واليك مماجدة حاتم وبني لام . خرج الحكم بن ابي العاصي بن امية (وهو ابو مروان مؤسس الدولة المروانية) يريد الحيرة ومعهُ عطر وكان في الحيرة سوق يجتمع اليها العرب كل سنة وكان النعمان بن المنذر ملك العرب قد جعل لبني لام الطائيين ربع الطريق طعمةً لهم وذلك لان بنت سعد بن حارثة بن لام كانت زوجة لهُ . ومرَّ الحكم بن ابي العاصي بحاتم الطائي فسألهُ الجوار في ارض طي حتى يصير الى الحيرة فاجارهُ . وعلم بذلك بنو لام فارادوا خفر ذمتهِ سعياً وراء منفعتهم الخاصة فثار الخصام بينهم وبين حاتم وابتدروا اليد بالنصال فتاجزهم وترك في بعضهم اثراً واسرع القوم اليهم فحجزوا بعضهم عن بعض وقال بنو لام بيننا وبينك سوق الحيرة فتماجدك ونضع الرهن . ففعلوا ووضعوا تسعة افراس ثم خرجوا حتى انتهوا الى الحيرة وسمع بذلك اياس ابن قبيصة الطائي فخاف ان يعينهم النعمان ويقويهم بمالهِ وسلطانهِ فجمع رهطهُ من بني حية وقال لهم ان هؤلاء القوم ارادوا ان ينضحوا ابن عمكم في تجادهِ فقال منهم رجل عندي مئة ناقة سوداء ومئة ناقة حمراء ادماء وقال آخر عندي عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدجج لا يرى منهُ الاَّ عيناهُ وقال حسان بن جبلة الخير قد علمتم ان ابي قد مات وترك مالاً كثيراً فعليَّ كل تمر او لحم او طعام ما اقاموا في سوق الحيرة . ثم قام اياس فقال عليَّ مثل جميع ما اعطيتم كلكم . ثم ان اياس قال احملوني الى الملك النعمان وكان بهِ نقرس فحمل حتى أُدخل عليهِ فقال انعم صباحاً ابيت اللعن . فقال النعمان وحيَّاك الهلك . فقال اياس انقذ اخنانك (اي انساء زوجتك) بالمال والخيل وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة اظنَّ اخنانك ان يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا ان بني حية بالبلد فان شئت ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً فليحضروا لمجادهم غداً عند مجمع العرب . فقال النعمان يا احلما لا تغضب فاني ساكفيك . وارسل النعمان الى اختانهِ انظروا ابن عمكم حاتماً فارضوهُ . فخرج بنو لام الى حاتم ونزلوا لهُ عمَّا بينهم وبينهُ . والمتحصل من هذه الرواية المنقولة باختصار عن ديوان حاتم ان الفئتين المتماجدتين كانتا تتحاربان بدليل

قول احد نصراء حاتم " عندي عشرة حصن على كل حصان فارس مدجج لا يرى منهُ الاَّ عيناهُ " فلو لم يكن هناك اختبار فراسة وبأس لما انتفى التدجج

اما المنافرة ويراد بها المحاكمة لدى قاضٍ في من من الخصمين اعز نفرًا كقول النجاشي

وان شئتمُ نافرتكم عن ابيكمُ الى مَن اردتم من تهامٍ ومنجدِ

ويسمَّى النفار منافرة ومن ذلك ما كان بين جرير بن عبدالله البجلي وخالد بن ارطاة الكلبي وهما انهما اختلفا ايهما اعزُّ نفرًا فقال خالد لجرير ما تجعل قال الخطر في يدك قال خالد الف ناقة حمراء في الف ناقة حمراء قال جرير الف قينة عذراء في الف قينة عذراء وان شئت فالف اوقية صفراء لالف اوقية صفراء . قال خالد سن لي بالوفاء قال جرير كفيلك اللات والعزى واساف ونائلة و يعوق ونسر فمن عليك بالوفاء . قال خالد ود ومناة وقلس ورضا[1] قال جرير لك بالوفاء سبعون غلامًا يوضعون على ايدي الاكفاء من اهل الله . فوضعوا الرهن من بجيلة ومن كلب على ايدي علبة بن ربيعة بن عبد شمس في اشراف من قريش وحكَّموا الاقرع بن حابس وكان عالم العرب في زمانهِ . فقال الاقرع ما عندك يا خالد فقال تنزل البراح ونطعن بالرماح ونحن فتيان الصباح[2] فقال الاقرع ما عندك يا جرير قال نحن اهل الذهب الاصفر والاحمر المعتصر نخيف ولا نخاف ونطعم ولا نستطعم ونحن حيٌّ لقاح نطعم ما هبَّت الرياح نطعم الشهر ونضمن الدهر . فقال الاقرع واللات والعزى لو فاخرت قيصر ملك الروم وكسرى عظيم فارس والنعمان ملك العرب لنفرتك عليهم

واشهر منافرة في الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل مع علقمة ابن الاحوص حين قال لهُ علقمة الرئاسة لجدي الاحوص وانما صارت الى عمك ابي براء من اجلهِ وقد استنَّ عمك وقعد عنها فانا اولى بها منك وان شئت نافرتك . فقال لهُ عامر قد شئتُ والله لانَّا اشرف منك حسبًا واثبتُ نسبًا . واطول قصبًا . فقال علقمة انا فرك واني لبرٌّ وانك لفاجر . واني لوَلود وانك لماقر . واني لوافٍ وانك لغادر . فقال انا فرك اني اسمى منك سمةً . واطول قمةً . واحسن لمة . واجعد جمة . وابعد همة . فقال علقمة لا انا فرك اني انا جميل وانتِ قبيح ولكني انا فرك اني اولى بالخيرات منك . فخرجت ام عامر فقالت نافرهُ ايكما اولى بالخيرات ففعلوا على ان جعلوا مئة من الابل يعطيها الحكم الذي ينفر عليهِ صاحبهُ . فخرج علقمة ببني خالد بن جعفر وبني الاحوص ومعهم القباب والجزر والقدور ينحرون في كل منزل ويطعمون وخرج عامر ببني مالك وقال انها لمقارعة

(١) كلها اسما اصنام كانت العرب تعبدها (٢) البراح المتسع من الارض لا زرع بها . كناية عن كثرة عددهم . وفتيان الصباح اي فتيان الغارات لان اكثر الغارات تقع صباحًا كناية عن باسهم

عن احسابكم فاتخصوا بمثل ما شخصوا بهِ وقال لعمهِ ابي براء اعني فقال سبني فقال كيف اسبك وانت عمي فقال وانا لا اسبُّ الاحوص وهو عمي . ولم ينهض معهُ فجعلا منافرتهما الى ابي سفيان بن حرب بن امية ثم الى ابي جهل ابن هشام فلم يقولا بينهما شيئًا ثم رجعا الى هرم الفزاري فقال نعم لاحكمنَّ بينكما فاعطياني موثقًا اطمئن بهِ ان ترضيا بحكمي وتسلما لما قضيت بينكما ففعلا . فاقاما عندهُ اياماً ثم ارسل الى عامر فاتاهُ سرًّا فقال قد كنت احسب ان لك رأيًا وان فيك خيرًا وما حبستك هذهِ المدة الاَّ لتنصرف عن صاحبك أتنافرُ رجلاً لا تفخر انت ولا قومك الاَّ بآبائهِ فما الذي انت بهِ خيرٌ منهُ . فقال عامر نشدتك الله ان لا تفضل عليَّ علقمة فوالله لئن فعلتَ لا أُفلح بعدها ابدًا هذه ناصيتي فاجززها واحتكم في مالي فان كنت لابدَّ فاعلاً فسرّ بيني وبينهُ . فقال انصرف فسوف ارى من آرائي . فانصرف عامر وهو لا يشك انهُ ينفرهُ عليهِ ثم ارسل الى علقمة سرًّا فقال لهُ ما قال لعامر وقال لهُ افتاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب وابوهُ ابوك وهو مع ذلك اعظم منك غناء واحمد نقاء واسمح سماحًا فما الذي انت بهِ خير منهُ . فردَّ عليهِ علقمة ما ردَّ بهِ عامر وانصرف وهو لا يشك انهُ ينفر عامرًا عليهِ . فارسل هرم الى بنيهِ وبني اخيهِ وقال لهم اني قائل فيهم غدًا مقالة فاذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر[٣] فلينحرها عن علقمة وليطرد بعضكم مثلها فلينحرها عن عامر وفرّقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعة . ثم اصبح هرم فجلس مجلسهُ واقبل عامر وعلقمة حتى جلسا فقال هرم انكما يا ابني جعفر قد تحاكمتما عندي وانتما كركبتي البعير لتعان الارض وليس فيكما واحد الاَّ وفيهِ ما ليس في صاحبهِ وكلاكما سيدٌ كريم . ولم يفضل واحدًا منهما على صاحبهِ فكيلا يجلب بذلك شرًّا بين الحيين ونشر الجزر وفرّق على الناس . وقد زعم الاعشى انهما حكماهُ وانشأ قصيدة من غرر الشعر جاء بها على بعض ما يعدونهُ مولي الاثرة بالشرف منها

ان الذي فيهِ تماريتما بُيِّنَ للسامع والناظرِ[٤]
علقم لا تسفهْ ولا تجهلنْ عرضك للوارد والصادرِ[٥]
علقم ما انتَ الى عامر الناقض الأوتار والواترِ
ان ترجع الحقَّ الى اهلهِ فلست بالمدي ولا النائرِ[٦]

---

(٣) جمع جزور لما يذبح من الابل (٤) تماريتما تنازعتما (٥) عرضك استعارة كنائية اراد بها منهلاً ولذلك ذكر الوارد والصادر استعارة تخييلية (٦) المسدي هو المدى بالفتح والقصر وهو ما مد من الثوب الناسج اسم فاعل من نرت الثوب نيرًا اي جعلت له نيرًا وهو علم للثوب وهدبه ولحمته وهذا هو المراد هنا وهذا مثل يضرب لمن يتكلم في الشيء كتكلمهم لا في الغير ولا في النير

ولستَ بالسلم بذي نائلٍ ولستَ في الهيجاء بالجاسرِ
ولستَ بالاكثر منهم حصى وانما العزّة للكاثرِ(٧)
ولستَ في الاثرين من مالكٍ ولا ابي بكر اولي الناصرِ(٨)
هم هامة الحيّ اذا ما دُعُوا ومالك في السؤددِ الفاخرِ(٩)
سدت بني الاحوص لم تعدهم وعامرٌ ساد بني عامرِ
سادَ وألفى قومهُ سادةً وكابرٌ سادوك عن كابرِ
فاصبر على حظك مما ترى فانما الفلج مع الصابرِ(١٠)
حكّموهُ فقضى بينكم ابلج مثل القمر الباهرِ
لا يأخذ الرشوة في حكمهِ ولا يبالي غبن الخاسرِ
وأوّلَ الحكم على وجههِ ليس قضائي بالهوى الجائرِ
قد قلتُ شعري فمضى فيكمُ فاعترف المنفور للنافرِ

وكانوا يسمّون الدعوى قضية قال الصلتان العبدي في فصلهِ بين الفرزدق وجرير

انا الصلتان والذي قد علمتمُ متى مايحكّم فهو في الحكم صادعُ
اتتني تميم حين هابت قضاتها واني لبالفضل المبيّن قاطعُ
كما انفذ الاعشى قضية عامرٍ وما لتميم عن قضائي رواجعُ
ولم يرجع الاعشى قضية جعفرٍ وليس لحكمي آخر الدهر راجعُ

ومن هذا القبيل نستخلص ان الحكم عندهم كانت اعادةُ النظر فيهِ جائزةً وذلك بثابة استئنافهِ وتمييزهِ عندنا ولكن بعض الاحكام كان لا رجوع فيها كما قال الصلتان "وليس لحكمي آخر الدهر راجعُ" وكما قال ذو الاصبع العدواني

ومنّا حكم يقضي فلا يُنقض ما يقضي

وهذا اشبه بحكم المحكمين في هذا العصر اذا اشترط في تحكيمهم ان لا استئناف ولا تمييز يتعقب حكمهم وهو وجه شرعي معمولٌ بهِ قديمًا وقد نصّ عليهِ دستور الاحكام العثماني

وقد افادنا الصلتان بقولهِ "اتتني تميم حين هابت قضاتها" ان بعض القضاة كانوا يستعفون

---

(٧) الحصى مجاز مرسل يراد بهِ العدد والمراد بهِ هنا عدد الاعوان

(٨) الاثرين جمع اثرى اي ذي ثروة . ومالك هو جد عامر بن الطفيل بن مالك . وابو بكر هو جدهِ وهو عبيد بن كلاب بن ربيعة (٩) هامة القوم استعارة تحتيتية اي اشراف القوم

(١٠) الفلج الفوز وهو استعارة تهكمية كما قال المحطيئة في شماخ الزبرقان

من القضاء في بعض الدعاوي وقد جرى ذلك كثيراً عندهم ومن ذلك ما ورد معنا في منافرة عامر وعلقمة انهما جعلا منافرتهما الى ابي سفيان والى ابي جهل فلم يقولا شيئاً اي انهما استعفيا

اما مقاطع الحكم عندهم فقد ذكرها زهير بن ابي سلمى المزني في قوله

فان الحق مقطعهُ ثلاث يمين او نفارٌ او جلاء

وهذه المقاطع هي قوام احكام الشريعة الاسلامية ولذلك قال عمر بن الخطاب لو ادركت زهيراً لوليتهُ القضاء . فالجلاء الاقرار والنفار الشهود واليمين معروف ولا مقطع بعد

وكانوا يضعون وضع اليد بالمنزلة التي تضعها فيهِ احكام هذا العصر ولذلك احتجَّ بهِ سنان ابن الفحل الطائي في خصومة على بئر قال

فانَّ الماء ماء ابي وجدي وبئري ذو حفرتُ وذو طويتُ

اما قضاة العرب فكانوا من ساداتهم المشاهير فلا ينال هذه المرتبة الاَّ من عرف بالمروءة وعلوّ الهمة وسداد الرأي قال زهير بن ابي سلمى يمدح سنان بن ابي حارثة المري

متى يشجر قوم يقل سرواتهم هُمُ بيننا فهم رضى وهمُ عدل (١)
هم جدَّدوا احكام كل مضلة من العقم لا يلفى لامثالها فصلُ
بعزمة مأمور مطيع وآمرٍ مطاع فلا يلفى لحزمهم مثلُ .

وقد ورد معنا اسماء بعض من كانوا يتقاضون اليهِ ومنهم ايضاً القلمس وفيهِ تقول هند بنت الخس الايادية احدى شهيرات نساء العرب وقد تحاكمت اليهِ هي واختها خمعة

اذ الله جازى منعماً بوفائهِ فجازاك عني يا قلمس بالكرمْ

ومما يجدر بي ان اذكرهُ انهم كانوا يجيزون للحكم ان يحكم قبل ان يسمع كلام الخصمين وشاهد ذلك ما ورد عن منافرة هاشم بن عبد مناف وابن اخيهِ امية بن عبد شمس بن عبد مناف فانهما تنافرا الى الكاهن الخزاعي في خمسين ناقة سود الحدق ينحرها ببطن مكة والجلاء من مكة عشر سنين فخرج كلٌّ منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل ان يخبروهُ خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم امية الى المفاخر . تنفر هاشماً وقال لامية تنافر رجلاً هو اطول منك قامة واعظم منك هامة واحسن منك وسامة وافل منك لامة واكثر منك ولداً واجزل منك صفراً . فقال امية من اتكأت الزمان ان جعلناك حكماً امين ظاهر خير الله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانت لعمري الطاعم الكاسي

(١) الشجر قوم اختلفوا وسرواتهم ساداتهم . ورضى مرضيون وعدل عادلون

مدارس الأُمة في المانيا

في نصف القرن الأخير تقدمت الأُمة الالمانية تقدماً عظيماً نادر المثال في تاريخ الشعوب وارتقت الى ارفع الدرجات في العلوم والمعارف والصنائع والفنون والحياة العائلية والاجتماعية والسياسية الى غير ذلك وهذا التقدم السريع يعزى الى اسباب اخصها مدارسها والمدارس العالية من جامعة وكلية وفنية والمدارس الابتدائية البسيطة التي يدخل فيها ويخرج منها تسعة اعشار اولاد الشعب. الى هذه المدارس الاخيرة وجهت الامة الالمانية من عهد بعيد مزيد اهتمامها ورعايتها عالمة انهُ اذا زرع في هذه الحقول بزور العلم والفضيلة والاجتهاد والامانة ومحبة الوطن والاعتماد على النفس لا بد ان تنمو وتزهو وتاتي باثمار يانعة تعود بالخير العميم على الامة والوطن. ولقد اصاب وأجاد احد الفرنسويين بقوله للالمان بعد حرب السبعين "لم تغلبونا انتم انما غلبنا امهاتكم ومدارسكم"

ان تاريخ المدارس والتدريس في المانيا لحد زمن الاصلاح الديني الذي نشأ في القرن السادس عشر سقيم جدا. فلم يكن فيها لحد ذلك الحين الاَّ مدارس قليلة العدد مبنية على الغالب الى جانب بعض الاديرة وكان يعلَّم فيها القراءة والكتابة وما يلزم لممارسة الخدمة الدينية في الكنائس وكان اكثر المدرسين وقتئذٍ على جانب عظيم من الجهل والجفاوة يعاملون الصغار احياناً معاملة بربرية

ثم قام المصلحون وفي مقدمتهم لوثيروس الشهير واقنعوا الامراء والحكام والاهلين بان مسئوليتهم عند الله عظيمة من جهة تعليم الاحداث وتهذيبهم وبوجوب فتح مدارس كثيرة في كل مدينة وقرية فوقعت مناداتهم احسن موقع وشيدت الوف من المدارس وتحسنت اساليب التعليم نوعاً. ولكد الطالع انتشبت بعد ذلك الحروب الدينية الدموية التي دامت عشرات من السنين ودمرت البلاد تدميراً وصيرتها خراباً بلقعاً فذهبت بكل حياة ادبية وعقلية وتحت آثار المدارس الحديثة النشأة من البلاد. ثم بعد ان القت الحرب اوزارها وساد السلام لم يستطع الاهالي ارجاع ما سلف الاَّ رويداً رويداً نظراً لفقرهم واضطرارهم الى ترميم ما تهدم من البيوت. غير ان الميل الى فتح المدارس كان قد غُرس في الصدور ومن ذلك الحين اخذ امراء المانيا ولاسيما ملوك بروسيا يهتمون مزيد الاهتمام بالمدارس وفريدرك الكبير اوَّل من جعل التعليم الزاميًّا في بلاده والَّف بمساعدة احد العلماء نظاماً مدرسيًّا لا يزال يعمل بهِ في اهم موادهِ. وقد قام في بلاد المانيا افاضل كثيرون نظير كوميتيوس وبستالوتسي وديسترفك وضحوا النفس والنفيس في تحسين المدارس وترقية شأنها واختراع احسن الاساليب للتعليم

ودرس طبائع الاولاد واحوالهم النفسية درساً مدققاً والفوا من ذلك كلهِ علماً نفسياً في بابهِ سموهُ البيداغوجيا ويتدرج تحتهُ علم البسخولوجيا (علم الظواهر العقلية والنفسية) واصول التربية والتعليم واساليب التعليم القديمة والحديثة وتاريخ المدارس والتدريس يدرسهُ المعلمون كما يدرس المهندس فن البناء وكما يدرس الطبيب فن الطب

ومما تمتاز بهِ المانيا تهذيب معلميها احسن تهذيب في مدارس خصوصية سميت سمينياري

وقد علم بالاختبار ان ليس كل عالم او علاَّمة يصلح ان يكون معلماً كما ان ليس كل من عندهُ مواد البناء كالحجارة والجير والرمل يصلح ان يسمَّى بناء ماهراً. ولقد اصاب من قال "كم من علاَّمة كبئر مخلوم بلا نفع وكم من عويلم كنهر جارٍ كثير الفائدة" . ان العالم يتكلم غالباً امام الاولاد الصغار عن افكارهِ الرفيعة بكلام يعلو عن مداركهم وافهامهم فلا يستفيدون منهُ وان استفاد احد شيئاً فرمية من غير رامٍ . وقد وجد ايضاً بالاختبار ان تدريس الاولاد كما يجب ان يكون من اصعب الامور . وهذه الصناعة قلما يتعلمها الانسان من تلقاء نفسهِ دون ان يسقط في اغلاط كثيرة سقط فيها غيرهُ قبلهُ ويخبر اختبارات تذهب بلذتهِ من التعليم وذلك كان الداعي قبل نحو مئة سنة الى انشاء مدارس خصوصية لتعليم المعلمين افرزت عن سائر المدارس العالية . من هذه المدارس نيف وسبعون مدرسة في بلاد المانيا يدخلها التلامذة في سن الخامسة عشرة ويدرسون فيها خمس سنوات متوالية العلوم الدينية والطبيعية والرياضية واللغوية والموسيقى والتصوير وفن التعليم علماً وعملاً والى جانب كلٍّ منها مدرسة ابتدائية يقبل فيها اولاد الفقراء مجاناً وفيها يتمرَّن المنتهون في السنة الاخيرة على التعليم بارشاد معلمين ماهرين في التدريس يعلِّمون احياناً امام التلاميذ مثائل لتمثل بها ويطلب من كلٍّ من التلامذة ان يكتب مثائل في كل فروع التعليم كلمة فكلمة ثم يلقيها على استاذهِ ورفاقهِ

اما المدارس الابتدائية في المانيا فقد بلغت درجة عالية من الكمال وهي جديرة بان يتمثل بها وقد شادتها الحكومة الالمانية على نفقتها مراعية صحة الاولاد وراحتهم ورفاهتهم وجهزتها احسن تجهيز بما لا غنىً عنهُ في تعليم الاولاد نظير المقاعد والمكاتب والخرائط والالواح وغيرها وطبعت الكتب المدرسية في مطابعها وجعلت اثمانها رخيصة جداً حتى لا يتعذر على اولاد الفقراء اقتناؤها . والمعلمون العاملون فيها هم مستخدمو الحكومة يتناولون رواتبهم منها وقد حفظت لنفسها حق مراقبة المدارس والمعلمين . والتعلم فيها الزاميٌّ فمن لا يرسل ابنهُ الى المدرسة يقع تحت طائلة العقاب. ويدخل فيها الاولاد في سن السادسة او السابعة وينتهون في الثالثة عشرة او الرابعة عشرة وساعات التعليم فيها اربع قبل الظهر واثنتان بعدهُ ما عدا

الاربعاء والسبت وفي كل مدرسة لائحة سياق الدروس من السنة الاولى الى الاخيرة ويطلب من المعلم في بداءة السنة ان يعين الدروس المزمع ان يدرّسها لكل اسبوع ولكل يوم وساعة. ويقتضي ان يستعد استعداداً كافياً لكل درس. ويعاب على المعلم ان يتقيد بالكتاب او ان يقرأ الدرس منهُ قراءة. ومما يعنى بهِ كثيراً تعليم الاحداث والغالب ان يوكل تعليمهم لامهر المعلمين واكثرهم اختباراً ولا يقصد بالتعليم دس مقدار معين من العلوم والمعارف في عقول التلامذة بل تهذيب كل قوى الانسان الادبية والعقلية والبدنية وايقاظ الفضائل والمواهب المكنونة في التلاميذ وانماؤها واماتة الاميال الفاسدة والافكار الاثيمة. ونظراً لتدين الشعب الالماني جعل للعلم الديني المقام الاول في كل المدارس الابتدائية وفضلاً عن ذلك يعلَّم فيها لغة البلاد جيداً من قراءة وصرف ونحو وانشاء والخط والحساب ومبادئ التاريخ والجغرافية والطبيعيات والترتيل والتصوير والرياضة البدنية. ويندر ان يعلم فيها لغة اجنبية كالافرنسية او الانكليزية ويبذل المعلمون غاية الجهد في جعل التعليم ملذاً ومفرحاً للاولاد

واساليب التدريس الحديثة تختلف اختلافاً كلياً عن الاساليب القديمة ففي القراءة مثلاً وجدوا ان ذكر اسماء الحروف وقت التهجئة يلقي الاشكال في ذهن الولد الصغير ولكن يسهل عليهِ القراءة اذا ذكرت لهُ اصوات الحروف فقط. وكانوا يشرعون في تعليم الحساب في سنة التعليم الثالثة او الرابعة بجمع اعداد كبيرة فصاروا يبدأون في سنة التعليم الاولى بتعليم الاعداد الاولى من الواحد الى التسعة وبتعليم الجمع والطرح والضرب باعداد قليلة ويرى الصغار كل ما يحسبونهُ ممثلاً امامهم على الاصابع او على محسبة (آلة حسابية) وفي الجغرافية كانوا يبدأون بالكرة الارضية فالقارات فالبحار فصاروا يبدأون بالمدرسة فالبلدة فالمدينة فالولاية فالمملكة فالممالك فالكرة الارضية. وفي الخط لا يبدأ بكتابة حروف وكلمات بل تمرَّن اليد اولاً ساعات متوالية على رسم خطوط مستقيمة ومنحنية ودوائر وغيرها وقس على ذلك في سائر العلوم. وقد وضعت للتعليم هذه القاعدة الذهبية وهي: من السهل الى الصعب ومن القريب الى البعيد ومن البسيط الى المركب ومن المعلوم الى المجهول ومن النظري الى العقلي

ومما يسر ويبهج ان تنظر الى مدرسة حسنة الترتيب فيها معلم امين يحترمهُ التلاميذ ويحبونهُ كاب حنون وكلهم عيون ناظرة واذان صاغية يلتقطون من فيهِ درر الفوائد والآداب والفضائل

وحبذا لو كان اولياء الامور في بلادنا يهتمون بالمدارس الابتدائية ويختارون لها احسن النظامات المدرسية عند ارقى الامم الاوربية ويهتمون باعداد المعلمين في احسن المدارس فترقى المدارس الابتدائية وبها ترقى الامة والوطن بيت لحم ابرهيم م عطا

خزان اصوان وبحيرة مورس

(تابع ما قبلهُ)

اذا أُعلي خزان اصوان يوجّه الالتفات الى وادي الريّان و يستخدم كما استخدمت بحيرة مورس في عهد الفراعنة فيخزن فيهِ الفا مليون متر مكعّب من الماء تستخدم لامداد النيل في زمن التحاريق . و يعترض على وادي الريان انهُ اذا جُعل خزانًا مدَّ النيل كثيرًا في ابريل ومايو وقليلاً في يونيو واقل من ذلك في يوليو فلم يُشر باستخدامهِ في تقريري الذي رفعتهُ الى الحكومة المصرية سنة ١٨٩٤ ولكن اذا تم خزان اصوان وصار يخزن فيهِ الفا مليون متر مكعب من الماء امكن حينئذٍ استخدام وادي الريان كما تسمح بهِ حالة النيل فان خزان اصوان مرتفع عن سطح النيل ويمكن اجراء الماء المخزون فيهِ رويدًا رويدًا او بمقدار كبير واما وادي الريان فجريان الماء منهُ الى النيل متوقف على الفرق بين سطحهِ وسطح النيل في الارتفاع لان ارتفاع سطح الماء فيهِ عن سطح ماء النيل قليل جدًا فيقل الجاري منهُ الى النيل رويدًا رويدًا بتقدُّم فصل الصيف ولا يكون في آخر الصيف ربع ما كان في اولهِ

لنفرض ان الخزان تمَّ حسب المراد ووادي الريان صُنع خزانًا لماء الفيضان وانهما كليهما امتلآ ماء وكان ذلك في اول ابريل فيفتح خزان وادي الريان ويمدُّ النيل بكل ما يراد ان يُمدَّ بهِ في ذلك الشهر ولا يفتح خزان اصوان حينئذٍ . وفي شهر مايو يجري كل الماء المطلوب من وادي الريان ولا يجري الاَّ شيء قليل من خزان اصوان . وفي يوليو يجري كل الماء المطلوب من اصوان وقليل جدًا من وادي الريان فيكون خزان اصوان ووادي الريان متممين احدهما للآخر فيقيان كلاهما معًا بحاجة القطر المصري

ووادي الريّان منخفض في الصحراء جنوبي الفيوم مفصول عنها بحرف من الصخر الكلسي وقد اشار الكولونل وسترن بعملهِ خزانًا سنة ١٨٨٨ ووافقهُ الكولونل روس على ذلك وهو اول مفتش عام للري . ولما غادر الكولونل وسترن القطر المصري فُوّض اليَّ درس هذه المسألة وأرسل المستر هيوت والمستر كلفتن لعمل التصميم النهائي ونشرت الحكومة المصرية الرسوم والتقادير سنة ١٨٩٤ . وقد اضطررت حينئذٍ ان ارفض هذا المشروع بسبب الخلل الوحيد الذي اشرت اليهِ آنفًا لكن هذا الخلل يزول باتمام خزان اصوان وهذا هو الذي اشير بهِ واليَّ بعملهِ

وقد كان عند القدماء خزان مثل وادي الريان وهو بحيرة مورس كان معدودًا من عجائب الدنيا السبع وقد ابان السر هنبري برون في كتابهِ عن الفيوم وبحيرة مورس ان تلك

البحيرة كانت تغطي مديرية الفيوم واول من وصفها هيرودوتس المؤرخ الذي كان قبل المسيح بنحو ٤٥٠ سنة فقال ان في بلاد مصر بحيرة كبيرة تسمى بحيرة مورس تستحق ان تسمى بحراً لكبرها ولونها كلون البحر ينصب اليها ماء النيل وقت فيضانهِ فتمنع تغريقهُ للبيوت والجنائن وحينما يحط النيل يعود الماء منها اليهِ من مجريين ويستخدم للري وعلى المجريين قناطر موازنة للتحكم في الماء وهو جار الى البحيرة وراجع منها

وقال ديودورس الصقلي في نحو ذلك الوقت ان الملك مورس حفر بحيرة كبيرة جداً لان فيضان النيل لا يجري دائماً على وتيرة واحدة وزراعة البلاد تتوقف على انتظام فيضانهِ فحفر البحيرة لكي ينصبَّ اليها الماء الزائد وانشأ لها ترعة من النيل طولها ٨٠ غلوة وعرضها ٣٠٠ قدم يجري الماء بها ذهاباً وايابا

وقد اختلف الناس كثيراً في موقع هذه البحيرة ولكن كتاب السر هنبري برون ازال كل ريب فقد بيَّن فيهِ انها كانت تغطي كل مديرية الفيوم تحت الحد المرتفع عن سطح بحر الروم ٢/٢٢ متر . ولا تزال اصداف النيل موجودة بكثرة على هذا الحد . ويبلغ حد الفيضان الآن في حوض قشيشة ٢/٢٦ متر فوق سطح بحر الروم وقد كان حدهُ اوطأ من ذلك اربعة امتار في عهد الملك امنمهات منذ اربعة آلاف سنة اي كان ٢/٢٢ متر فوق سطح بحر الروم وهو الحد الذي كان يمكن ان تبلغ البحيرة اليهِ حينئذٍ . الاَّ ان وادي النيل ارتفع عشرة سنتمترات كل مئة سنة من ذلك الحين الى الآن ثم تجمع الطمي في تلك الترعة على مر الزمان فانسدَّت بعد ان بقي الماء يجري فيها الفي سنة

وقد كان الاتصال بين بحيرة مورس والنيل موجوداً في عهد الملك مينا كما اخبرني الاستاذ سايس ولكن الملك امنمهات من الدولة الثانية عشرة وسَّعهُ وعمَّقهُ وازال الحواجز الصخرية منهُ وجعل البحيرة بحراً يعدِّل فيضان النيل . لقد كان اولئك الفراعنة جبابرة في اعمال الري وكانوا حكماء كما كانوا اقوياء

وقد وصف السر هنبري برون تلك البحيرة فقال ان مساحة سطحها كانت ٢٥٠٠ كيلومتر مربع واذا كان الفيضان عظيماً انصبَّ اليها منهُ عشرون الف مليون متر مكعب من الماء فتعدِّل الفيضان مهما كان عالياً . واذا كان الفيضان قليلاً ولم تستعمل الدقة في اجراء الماء اليها فقد يحرم الوجه البحري من التنيل اي تبقى ارضهُ شراقي ولم يكن حينئذٍ ري غير التنيل

ولقد قلت مراراً ان المستر كوب هويتهوس اصاب في قولهِ ان هوار الهكسوس هو هرم هوارة الموجود الآن حيث يوجد هرم اللتز وحيث كانت قناطر الموازنة لدخول المياه الى

بحيرة مورس . وقناطر الموازنة كانت اثنتين الواحدة في اللاهون وهرم اللاهون عند طرفها الشمالي وهناك الآن قرية هوارة عجلان وقرية اللاهون والثانية مجرى تحفور في الصخر حيث يوجد بحر يوسف الآن وهناك جسر كبير وقرية هوارة المقطع وهرم هوارة عند الطرف الشمالي وبينهُ وبين الجسر اللغز او هيكل القناطر (لبيروهنت) وهو مثل حصن تقيم فيهِ حامية تمنع من يحاول الوصول الى الجسر وقطعهُ وعلى الجانب الآخر من الجسر هوارة المقطع وكانت جزيرة حصينة يحيط بها الماء وكان بين الموازنتين عشرة كيلومترات وعليهِ كانت موازنة هوارة مفتاح مصر ومن يتسلط عليها يتحكم في ري الوجه البحري

(وافاض الخطيب هنا في بحث تاريخي الى ان قال) ولنترك الآن بحيرة مورس القديمة التي صارت ارضاً زراعية مساحتها ٤٠٠٠٠٠ فدان وقيمتها اكثر من ١٠ مليون جنيه ولنرجع الى بحيرة مورس الحديثة اي وادي الريان الذي يمكن ان يصير بحيرة كبحيرة مورس القديمة يدفع عن القطر غائلة الغرق ويمدُّ النيل وقت التحاريق

وادي الريان كما قلت سابقاً منخفض في الارض جنوبي الفيوم تبلغ مساحة سطحهِ على ٢٩ متراً فوق سطح البحر ٧٠٠ كيلومتر مربع اي نحو ربع مساحة بحيرة مورس القديمة واسفلهُ اوطأ من سطح البحر بواحد واربعين متراً هذا ملءُ ماء بلغ عمق الماء فيهِ ٧٠ متراً ولكن لا ينصرف منهُ حينئذٍ الاَّ ما عمقهُ اربعة امتار او خمسة او نحو ثلاثة الآف مليون متر مكعب وهو يساعد على تخفيف وطأة الفيضان الزائد ومنع الغرق ولكن فائدتهُ الكبرى في امداد النيل وقت التحاريق لاجل الري الصيفي لانهُ يمدهُ بالفي مليون متر مكعب وهي كل ما يلزم لادخال الزراعة الصيفية الى القطر المصري كلهِ

وقد ابنت كيف تكون هذه البحيرة عوناً لخزان اسوان ومرادي ان ابين الآن كيف يجري الماء اليها وكيف يعود منها الى النيل وكم هي النفقة اللازمة لذلك وفي كم سنة تمتلئ ويمكن استعمالها

يمكن جعل هذه البحيرة تمد النيل بثلاثة آلاف مليون متر مكعب او جعلها تمدهُ بالفي مليون متر مكعب في الحالة الاولى يجعل ارتفاع الماء فيها ٢٩ متراً عن سطح بحر الروم وفي الحالة الثانية يجعل ارتفاع الماء فيها ٢٧ متراً فقط فوق سطح بحر الروم وفي الحالتين يجري الماء منها الى ان يصير ارتفاعهُ فيها ٢/١ ٢٤ متر فوق سطح بحر الروم واذا اريد ان يؤخذ منها ماء اكثر من ذلك فيمكن بآلات رافعة ترفع منها ٢٠٠ متر مكعب كل ثانية من الزمان ويبلغ ثمنها ونفقات وضعها ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه ونفقات تشغيلها ٣٥٠٠٠ جنيه كل سنة والآلات الكبيرة الى هذا الحد لم تكن معروفة منذ اثنتي عشرة سنة

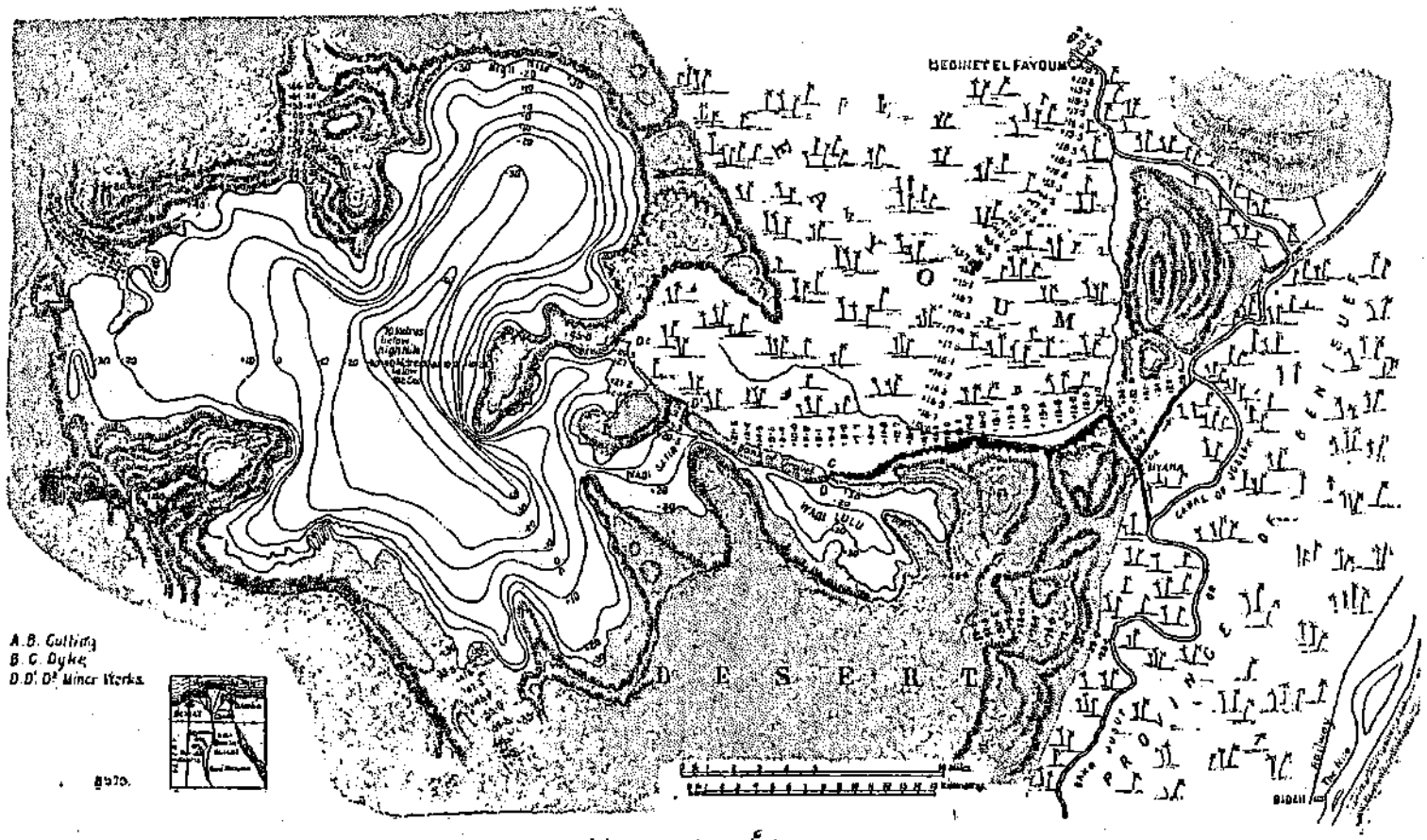

وادي الريان ومناسيب ارتفاعاته

فاذا اريد ان تكون لخزن ثلاثة آلاف مليون متر مكعب تفتح لها ترعة طولها ٣٠ كيلومترًا يجري بها الماء اليها من عند البشرعونة حتى اذا كان الفيضان غزيرًا جدًّا امكن ان تأخذ من النيل الف متر مكعب كل ثانية من الزمان مدة خمسين يومًا فتخفض سطحهُ ثلاثين سنتمترًا في تلك الايام

والترعة الاصلية تقطع الصحراء امام الميانا وتدخل وادي الريان عند طرفهِ الشرقي وبها يعود الماء من الوادي الى النيل وقت التحاريق ولكنها تتصل بالنيل في رجوعها جنوبي بني سويف . وطول الفرع الاول من هذه الترعة ١٦ كيلومترًا وطول الفرع الثاني ٢٠ كيلومترًا (يرى ذلك واضحًا في الرسم المقابل) ويكون عرض كل ترعة من الترعتين اربعين مترًا وعمق الواحدة ١٠ امتار والثانية ٧ امتار ويكون لها قناطر موازنة على النيل وسحّارات تحت الابرهيمية وبحر يوسف وقناطر موازنة عند الاتصال بوادي الريان

فاذا اريد ان يخزن في وادي الريان ثلاثة الآف مليون متر مكعب من الماء فالاعمال اللازمة لذلك تقتضي مليونين وستمئة الف جنيه ويصير مقدار الماء المصرف في كل ثانية من الزمان امتارًا مكعبة هكذا

	الجاري في النيل والتابع فيهِ	المنصب من خزان اصوان	المنصب من وادي الريان	الجملة
في ابريل	٥٥٠	٠٠٠	٣٥٠	٠٩٠٠
في مايو	٥٠٠	١٠٠	٤٥٠	١٠٥٠
في يونيو	٤٠٠	٤٥٠	٢٥٠	١١٠٠
من ١ الى ١٠ يوليو	٤٥٠	٥٥٠	١٠٠	١١٠٠

وهذا المقدار من الماء يكفي تمامًا لكل فدان يزرع الآن او يمكن زرعهُ في المستقبل من الاراضي الصالحة للزراعة

ويحسن ان لا تحفر الترعتان في وقت واحد معًا بل يكتفى اولاً بالترعة الثانية التي يجري بها الماء من الوادي فيجري بها الماء الى الوادي مدة اربع سنوات ومتى امتلأ يعتمد على بحر يوسف لجر الماء الى الوادي من ١٥ اكتوبر الى آخر فبراير وحينئذٍ تعمق الترعة بين الصحراء وضفة النيل فتصير مخرجًا للماء المصرف من الوادي الى النيل

واذا أُريد خزن الفي مليون متر مكعب فالنفقات اللازمة لذلك مليونا جنيه ويصير الماء الجاري كل ثانية من الزمان هكذا

	الجاري في النيل والنابع فيهِ	من خزان اصوان	من وادي الريان	المجموع
في ابريل	٥٥٠	٠٠٠	٣٥٠	٩٠٠
في مايو	٥٠٠	٣٠٠	٢٥٠	٩٥٠
في يونيو	٤٠٠	٤٣٠	١٢٠	٩٥٠
من ١ الى ١٠ يوليو	٤٥٠	٥٠٠	٥٠	١٠٠٠

والمشروع الكبير يتم في ثلاث سنوات ونصف ويمتلئ الوادي في ثلاث سنوات ونصف والمشروع الصغير يتم في ثلاث سنوات فقط ويمتلئ الوادي بهِ في اربع سنوات وباستخدام هذا الوادي لمساعدة الخزان وقناطر اسيوط والقناطر الخيرية يتم الري الصيفي في كل مصر بعد سبع سنوات من ابتداء العمل

وليس في العالم الآن مشروع اتم من هذا المشروع او انفع منهُ فانهُ اذا أُنفق نصف مليون جنيه على تعلية خزان اصوان ومليوناجنيه على وادي الريان بلغ الربح الناتج من ذلك ٤٥ مليون جنيه فهو اربح الاعمال ماليًّا وانفعها لجمهور كبير من الناس ويشبه العمل العظيم الذي عملهُ امنمهات منذ اربعة الآف سنة وموقعهُ على مقربة من موقع بحيرة مورس التي انشأها ذلك الملك. والصحراء التي بينهُ وبين الاراضي الزراعية يمكن ان تصير اراضي زراعية فيضاف عشرون الف فدان كل سنة الى الاراضي الزراعية يساوي الفدان منها خمسين جنيهًا . ويمكن ايضًا رفع الماء في وادي الريان الى علو ٣٠ او ٣١ مترًا فوق سطح البحر واذا لم يتيسَّر ري كل الاطيان من ديروط الى القناطر الخيرية بترعتين طويلتين امكن انشاء قناطر أُخرى عند الجسر الجنوبي من بني سويف فيصير ري الفيوم والجيزة امرًا سهلاً وكذلك ري الصحراء الواقعة شمالي القاهرة

ولا بدَّ من ان اشير الى عمل آخر عظيم انشأهُ الملك امنمهات منشئ بحيرة مورس فان العالم لبسيوس اكتشف مقياسًا للنيل صنعهُ هذا الملك في سمنة عند الشلال الثاني من شلالات النيل . وحد الفيضان المرسوم عليهِ يعلو عن حدّهِ الحالي ثمانية امتار. والنيل عند سمنة تسهل اقامة السد فيهِ ولذلك خطر لي ان امنمهات اقام سدًّا هناك ليجعل فوقهُ خزانًا لخزن المياه في مسيل النيل نفسهِ ثم عجز خلفاؤهُ عن اتمام هذا العمل فعاد النيل الى مجراهُ القديم

اما الاربعة الاف مليون متر التي قلت ان خزان اصوان ووادي الريان يخزنانها الى حين الحاجة فتفي بالحاجة تمامًا مهما كانت حالة النيل فتزيد بها مساحة الاطيان التي تروى ريًّا صيفيًّا مليونًا ونصف مليون من الفدادين ويبقى منها ما يغزر بهِ ماء الوي المستعمل الآن للري الصيفي فلا يستعمل بالشيح

ثم اذا اردنا ان تبقى الترع مملوءة بالماء على مدار السنة وجب علينا ان نتحكم بالماء في البحيرات الاستوائية حيث مصادر النيل وفي المستنقعات التي يمر فيها هناك وحينئذٍ نروي بهِ كل الاراضي الواقعة بين الدرجة ١٠ والدرجة ٢٤ من العرض الشمالي ونوصلهُ الى مصر غزيرًا كافيًا لريها. لهذا الغرض ذهب السر وليم جارستن الى اعالي السودان مرتين. اما ري القطر المصري وحدهُ فالخزانان يكفيانهِ واذا اعتدى احد على النيل في زمن التحاريق وسدَّ مجراهُ شهرًا او شهرًا ونصفًا فالخزانان يغنيان عنهُ الى ان تفرج الازمة ويزال السد ويكون نفعهما حينئذٍ فوق كل تقدير اما الخزانات التي يمكن ان تنشأ في اعالي السودان فلا تغني فتيلاً بل قد يكون منها ضرر لهذا القطر.

اتضح مما تقدَّم ان توسيع نطاق الري الصيفي حتى يعم القطر المصري ليس مما يتعذر عملهُ لا من حيث المال ولا من حيث المصاعب الطبيعية فلا يقتضي من النفقات اكثر من مليونين ونصف من الجنيهات وليس هذا المبلغ بالشيء الكثير على حكومة اقرضت حكومة السودان بالامس مليوني جنيه لانشاء سكة حديدية بين سواكن وبربر. وتحقيق الري الصيفي للقطر المصري كلهِ انفع لهُ من سكة سواكن مئة مرة ولا احد يعلم ذلك اكثر من اللورد كرومر كما انهُ ليس لري القطر المصري صديق اصدق منهُ

والعمل الذي اشير بهِ يمكن الشروع فيهِ حالاً واعلاء الخزان يعترضهُ هيكل انس الوجود واذا لم يُعلَ فلا سبيل للعمل الآخر وهو خزن الماء في وادي الريان

والذين اعترضوا على اعلاء الخزان يظنون ان ما يحلُّ بالحجارة من التلف اذا كانت في ارض رطبة يحل بها ايضًا اذا غمرتها المياه بضعة اشهر من السنة وهذا خطأٌ لان الماء اذا غمر الحجر حفظهُ من البلى ولا يبلى منهُ الاَّ ما يبقى مكشوفًا فوق حد الماء فغمر الهيكل واسطة لحفظهِ

ولقد احسن المستر ونستن تشرتشل في وصفهِ غيظ اهالي هذا القطر من اعتراض علماء الآثار على اعلاء الخزان فقال " ان تضحية ١٥٠٠ مليون متر مكعب من الماء لمآثر التي كانت تُعبد في ذلك الهيكل هو اثمن الضحايا التي قُرِّبت على مذبح ديانة كاذبة واشدها ظلمًا واكثرها جورًا فانهُ يقضي على الحكومة المصرية بالخسران وعلى الامة بالتضوُّر جوعًا وذلك كلهُ لكي يتهال علماء الآثار ويكتب السياح اسماءهم على حجارة الهيكل "

ويسهل على ادارة الآثار ان تنقل هيكل انس الوجود الى جزيرة البيجة على ما اشار بهِ السر وليم جارستن ولا تكون نفقات نقلهِ مئتي الف جنيه. وجزيرة البيجة على رمية سهم من جزيرة انس الوجود وارفع منها واصلح لقيام الهيكل

والهيكل كما هو عليهِ الآن في حالة يرثى لها وكلما رأيتهُ اتصوَّر هاثور واقفة هناك رجلاها في الماء وثيابها ملطخة بالاوحال تتوسَّل لتنقل الى جزيرة البيجة . والمئتا الف جنيه التي وعد بها السر وليم جارستن يكفي نصفها لنقل الهيكل الى جزيرة البيجة والنصف الآخر لترميم هياكل طيبة ولقصر كرنك وايدوس

رأينا في ما تقدم كيف انهُ يمكن ان يعم الري الصيفي القطر كلهُ فيزيد ثمن اطيانهِ من ٢٧٥ مليون جنيه الى ٣٣٥ مليون جنيه والآن نلتفت الى امر آخر هامّ مثل الامر الاول وهو الاحتفاظ بهذه الثروة بعد الحصول عليها . فان النيل يعلو فوق واديهِ حين فيضانهِ مترًا في الوجه القبلي ومترين في المديريات الوسطى وثلاثة امتار ونصف متر في بعض الاماكن على فرع رشيد وذلك في الفيضان الزائد . وفرع دمياط لا يصلح لجريان النيل في الفيضان الزائد فيجدر بالحكومة ان تحسب فرع رشيد النيل كلهُ وتجعل فرع دمياط ترعةً من الترع

حينما اتينا القطر المصري وجدنا الطريقة المتبعة للتصرُّف بماء الفيضان توزيعهُ في فرعي النيل وترعهِ واقامة الالوف من انفار العونة على الجسور لحفظها فغيَّرنا ذلك وحصرنا ماء الفيضان في فرع رشيد وفرع دمياط واقمنا الحرس عليهما . والآن تمكنا باعمال السر هنري يرون من التحكم بالماء في فرع دمياط فلم يبقَ علينا الاَّ حراسة فرع رشيد

وقد حدثت قطوع كبيرة في فرع دمياط سنة ١٨٦١ و١٨٦٣ و١٨٦٦ و١٨٦٩ و١٨٧٤ و١٨٧٨ ولم يحدث قطع كبير في فرع رشيد الاَّ سنة ١٨٦٣ لكن كان ضررهُ بالغًا جدًّا فانهُ غرَّق النصف الغربي من الوجه البحري ولم يترك للناس ملجأً يلجأون اليهِ فمات كثيرون منهم غرقًا . ويحدث مثل ذلك الآن اذا حدث قطع كبير في فرع رشيد ويكون الضرر اشد لأن البلاد اكثر سكانًا وقد عمرت اطرافها الى حد البرلس فاذا حدث قطع كبير في الجسر الشرقي من فرع رشيد او الجسر الغربي من فرع دمياط تحت القناطر الخيرية الى بعد مئة كيلومتر كان منهُ خراب عام

واذا جاء الفيضان عاليًا جدًّا القى الرعب في البلاد كلها فترى الخيام منصوبة على جسور النيل كل خمسين مترًا وفي كل خيمة منها غفيران والسرج موقدة الليل كلهُ وعلى كل نقطة ضعيفة خمسون نفرًا الى مئة والقوارب والبواخر تسير في النيل مملوَّة بالاكياس واللبش والحجارة . واللبش يوضع على جانبي الجسر لمنع فعل الامواج بهِ . رأيت سنة ١٨٨٧ حادثة عند برنج شمالي المنصورة كانت تحدث حينئذٍ اكثر مما تحدث الآن . حدث قطع هناك وبلغ خبرهُ اهالي القرية المجاورة فهرعوا الى الجسر باولادهم ومواشيهم وكل مقتنياتهم واجتمع النساء حول

قبر ولي هناك يضربن صدورهن ويترسلن اليهِ ويزعقن زعيقاً يصمُّ الآذان والرجال يركضون ويخطفون كل ما تقع يدهم عليهِ ليشدّوا بهِ القطع ووقف جمهور منهم في الماء كتفاً لكتف وجعلوا يلقون فيهِ كل ما يتناولونهُ من الابواب والاخشاب والحطب الى ان سدوا القطع . هكذا كان الناس يسدون قطوع النيل من اول عهدهم. شكرت احد الموظفين مرة على الهمة التي ابداها في سد قطع حدث سنة ١٨٨٧ فقال لي انهُ كان في سنة ١٨٧٨ وحدث حينئذٍ قطع في مت بدر فارسل اسمعيل باشا تلغرافاً يأمر بطرحهِ هو والمهندس في القطع لكن المأمور ابقاهُ اثنتي عشرة ساعة فابيضَّ شعرهُ خوفاً ثم عفي عنهُ

فاذا استخدم وادي الريان خزاناً انخفض بهِ ماء الفيضان ٣٠ سنتمترًا مدة خمسين يوماً فتضعف وطأة الفيضان العالي جدًّا عن البلاد كلها من بني سويف الى بحر الروم. ولا بدَّ من وضع الموازنة على فرع دمياط وجعلهِ مثل بقية الترع وحصر المراقبة والعناية في فرع رشيد (وهنا اسهب الخطيب في كيفية العناية بالنيل حتى تحفظ جسورهُ وينتفع بالرمال التي على جوانبهِ حسب طريقة المهندس ايدس الاميركي)

جبّار الاخطبوط

كتبنا منذ بضع سنوات فصلاً في الترتياس والاخطبوط ذكرنا فيهِ ان الديكابود (ذا العشرة الاذرع) قد يبلغ وزنهُ عشرة قناطير مصرية وطول كلٍّ من ذراعيهِ الطويلتين ٣٤ قدماً وان هذا الحيوان كشف سنة ١٨٧٤ على شاطئ الارض الجديدة. وقد اطلعنا الآن على مقالة للدكتور هارفي مكتشف هذا الحيوان نشرها في جريدة الرڤيو ورلد وصف فيها كيفية اكتشافهِ وصفاً بديعاً. فقد روى القدماء والقصاصون رويات غريبة عن هذا الحيوان حتى زعم بعضهم انهُ يقبض على السفينة ويجذبها الى قاع البحر فظن العلماء ان كل ما رواهُ عنهُ الراوون من قبيل الخرافات الموضوعة وان الحقيقة دون ذلك بمراحل فكبَّرها الوهم وجسمها التخيُّل واخرجها من حيز الاوهام الى ان اتيح للدكتور هارفي هذا كشف القناع عن محيا الحقيقة واظهارها للعيان

وقد تم هذا الاكتشاف منذ ثلاثين سنة ولم يمضِ عليهِ وقت قصير حتى دوت لهُ اندية العلماء وتداولتهُ الالسنة ولم تبقَ جريدة حتى نشرت تفصيل ذلك الاكتشاف . الاَّ ان ابناء هذا العصر لم يطلّعوا على تفصيل ذلك وهذا ما حدا بالدكتور هارفي الى نشر التفصيل التالي لما فيهِ من الفكاهة والفائدة قال ما خلاصتهُ :

"في الشاطئ الشرقي من جزيرة نيوفوندلند (الارض الجديدة) خليج جميل يكثر فيهِ السمك فيتخذ السكان صيدهُ مهنة لهم. وفي القسم الجنوبي من هذا الخليج جون صغير يسمى جون البرتغال باسم وطن مكتشفهِ

وفي السادس والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٧٣ كان صيادان في زورقهما يصيدان الاسماك في جون البرتغال ولاحدهما ابن لهُ من العمر اربع عشرة سنة وهو يدير دفة السفينة وبينما كان كلٌّ من الثلاثة منهمكاً في عملهِ رأوا عن بعدٍ جسماً كبيراً عائماً في الماء فظنوهُ قطعة من سفينة منكسرة وجذفوا نحوهُ وضربهُ احدهم بمجذافهِ وللحال تحرك ونهض فوق الماء واراهم منظراً مريعاً تقشعر لهُ الابدان وحشاً بحرياً ضارياً بعينين كبيرتين تتألقان غضباً ومنقارٍ عظيم اعقف كمنقار البيغاء ثم انقضَّ على الزورق وضربهُ بمنقارهِ وفي اقل من طرفة عين نشبت منهُ ذراع طويلة دقيقة كالحبل والتفت حول الزورق ثم تبعتها ذراع اخرى اقصر منها ولكنها اغلظ والتصقت الذراعان حول الزورق فجعل الماء يدخلهُ واشرف على الغرق . فذهل الصيادان وايقنا بدنو الاجل الاَّ ان الفتى لم يفقد رشدهُ بل بادر الى فأس صغيرة كانت في قاع الزورق فرفعها وضرب بها ذراعي الحيوان فقطعهما . ولم يُعِد الحيوان الكرَّة على الزورق بل تركهُ وافرز مقداراً كبيراً نحو ثماني اقات من سائل كالحبر رائحتهُ تشبه رائحة المسك صبغ الماء المجاور لهُ ثم غاص في البحر ولم يعد يرى ثانية . وعاد الصيادان بزورقهما الى الشاطئ وهما يرتجفان خوفاً واما الفتى واسمهُ توما يبكوت فنزع الذراعين عن القارب وعاد بهما الى الشاطئ كما يعود البطل الظافر بغنيمتهِ ولم يخطر على بالهِ انهُ اتى امراً خطيراً فرمى الذراع القصيرة الغليظة الى الكلاب فتناوشتها الى ان التهمتها واما الذراع الطويلة فانهُ اخذها الى بيتهِ حاسباً انها اذا جفَّت صارت حبلاً يربط بهِ قاربهُ . وسمع قسيس القرية بتفصيل الحادثة فاشار على توما ان يبادر اليَّ ويريني تلك الذراع فاتاني في الصباح التالي وحكى لي القصة فاشتريت الذراع منهُ بمبلغ من المال فعاد يطفر فرحاً . واما انا فلم اكن دونهُ فرحاً وحبوراً فقد علمت انني وجدت اغرب غرائب مملكة الحيوان وان بين يديَّ مفتاح سر غامض تناظر العلماء طويلاً في حقيقة وجودهِ منذ قرون . وتيقنت انهُ سيضاف بواسطة اكتشافي فصل جديد الى التاريخ الطبيعي الاَّ ان فرحي كان يمازجهُ الكدر الشديد لفقد الذراع الغليظة . ولكنني كنت اعلل نفسي بانهُ يمكن تصوير الحيوان كلهِ من معرفة ذراعهِ الواحدة فقط كما فعل كيفيه وغيرهُ فانهم صوَّروا بعض الحيوانات من رؤية عظم واحد من عظامها . على ان الحظ اعدَّ لي ما لم اكن انتظرهُ ولا احلم بهِ كما سيجيء

وبعد ان دققت البحث في هذه الذراع استنتجت ان طول هذا الحيوان بين خمس عشرة وعشرين قدماً وان طول كلّ من الذراعين الطوال خمس وثلاثون قدماً او اربعون وعرض رأسهِ اربع اقدام وان ثقلهُ لا ينقص عن الف او الف ومئتي رطل وكان محيط الذراع لا يزيد على ثلاث بوصات ونصف الاّ انها كانت متينة جدًّا ولونها احمر ضارب الى الصفرة . وتتسع عند طرفها فتصير شبه مجذاف ويصير محيطها ست بوصات وهذا القسم المتسع مسلّح بمصات قطر اكبرها بوصة وربع وحولها اسنان دقيقة حادة . فاذا التصق المص بحيوان غرزت هذه الاسنان في لحمهِ واصبح افلاتهُ مستحيلاً . وهذه المصات في صفين في كل منهما اثنا عشر مصًّا . وهنالك ايضاً عدد كبير من المصات الصغيرة وكلها تحيط بها الاسنان الصغيرة وللديكابود ذراعان طويلتان وثماني اذرع اخرى قصيرة وهي اغلظ من الذراعين الطويلتين . وكلها اطوع لهذا الحيوان من اليد للانسان والمخلب للاسد فتنشب بسرعة البرق حتى لا يمكن للعين ان تتبعها في حركتها وتنقضُّ على الفريسة فتجذبها الى فم الحيوان فيفترسها

ولم يعد يظهر اثر لهذا الحيوان الغريب والراجح انهُ نزل الى اعماق البحر ليموت منفوداً كما تفعل الاسماك اذا اصيبت بجراح والاّ فقد هاجمتهُ رفاقهُ لما احسَّت بعجزهِ وافترستهُ لان السمك يأكل بعضهُ بعضاً من غير حساب

ولم يمضِ على هذه الحادثة ثلاثة اسابيع حتى ذاع ان الصيادين امسكوا اخطبوطاً كبيراً في خليج لوجي على ثلاثة اميال من مدينة سنت جون في الارض الجديدة . فاسرعت الى ذلك المكان فرأيت الصادين حول الحيوان وهم يريدون تقطيعهُ واستعمالهُ سماداً للارض . وكان سليماً من كل عطب الاّ ان الصيادين اضطروا ان يقطعوا رأسهُ فاتلفوا عينيهِ . وكنت قد درست كل ما يتعلق بهذا الجنس من الحيوان فتحققت ان ليس في متحف من متاحف العالم حيوان كامل مثلهُ بل كان العلماء يرتابون في وجود ما هو كبير مثلهُ وللحال اشتريتهُ بعشرة ريالات ونقلتهُ الى منزلي ووضعهُ في وعاء كبيرة مملوء بالماء والملح

وكان هذا الحيوان اصغر من الاول وقد ظننت انهُ انثى الحيوان الاول نفسهِ حلَّ بها اليأس حين فقدت الفها فالقت بنفسها الى التهلكة . وذلك ان الصيادين كانوا في زورق يصيدون السمك بالشباك وبينما كذلك احسوا بثقل غير اعتيادي في شبكتهم فايرقت اسرتهم وظنوا انهم اصابوا شيئاً كثيراً من السمك ولكن لما قربت الشبكة منهم احسوا باختباط شديد فيها كاد يمزقها ويذهب بها فجمعوا قواهم وتعاضدوا على سحبها فلما بدا لهم ما فيها هالهم منظرها اذ رأوا عينين كبيرتين تتقدان غضباً حولهما اذرع كبيرة تتلوى داخل الشبكة وتختبط للتملص

منها . ثم نشبت ذراعان من هذه الاذرع وخرجت من الشبكة واهتزت في الهواء الاَّ انهما لم تصلا الى الزورق بل عادتا الى مكانهما . وقد هال الصيادين هذا المنظر واردوا ان يتركوا الشبكة وما فيها الاَّ انهم صمموا اخيرًا على قتل هذا الحيوان ليأمنوا شرَّهُ وتناول احدهم سكينًا حادةً فقطع بها رأسهُ من تحت العينين واصاب العينين فنقأهما وترك حجاجيهما فارغين وللحال انقطعت حركة الحيوان فسهل على الصيادين اخراجهُ الى البر

وقد كانت هذه الحادثة من حسنات الطبيعة وغرائب الاقدار . فان الطريقة التي بها قُبض على ذاك الاخطبوط هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها القبض عليهِ من غير ان يلحق بهِ ضرر وبالقابض عليهِ اذًى

وقد قستهُ فوجدت طول جسمهِ ثماني اقدام ومعظم محيطهِ خمس اقدام ونصف قدم . ويتشعب منهُ عشر اذرع اثنتان منها طويلتان طول كلٍّ منهما اربع وعشرون قدمًا ومحيطها ثلاث بوصات . وهذه تشبه الذراع التي أُتي اليَّ بها من جون البرتغال وفيها على الطرف المتسع نحو ١٦٠ مصًّا ويبلغ طول كلٍّ من الاذرع الباقية ست اقدام ومعظم قطرها ١٢ بوصة وعلى سطحها الاسفل صفان من المصات . ويبلغ عدد كل المصات على الاذرع العشر نحو ١١٠٠ مصّ . ومحيط تجاج العين المنقوبة ١٢ بوصة والمنقار صلب يشبه منقار الببغاء في الانعكاف وحجمهُ كحجم الكف المقبوضة وحولهُ كيس لحمي في وسط الرأس . ويبلغ طول الحيوان من طرف الذراع الواحدة الى طرف الذراع الاخرى ٥١ قدمًا

وللاخطبوط انبوبة وراء رأسهِ واليها تُنسب حركاتهُ السريعة في الماء . وكيفية ذلك ان الانبوبة متصلة باعضاء التنفس يدخلها الماء من صمامين بواسطة تمدد جسم الحيوان . فاذا اخذ الدم من الماء الاكسيجين اللازم لهُ انضغط الجسم على الماء فاخرجهُ من الانبوبة بقوة شديدة واندفع الحيوان بسرعة . هذه هي الطريقة التي بها يسير الاخطبوط عادةً وذنبهُ مثلث الشكل يقوم مقام دفةٍ يدور بها كيف شاء ويسير بهِ الى الامام بسهولة تامة

وفيهِ كيس للحبر يفرغ الحبر منهُ الى هذه الانبوبة بقناة مخصوصة فاذا داهم الاخطبوط عدو افرز كمية من هذا الحبر الى الماء المجاور فيحيط نفسهُ بستار من الظلام الحالك يجعلهُ في مأمن من كل طارئٍ مفاجئ

وليس للاخطبوط سلسلة فقارية كما لسائر الحيوانات العليا بل لهُ لوح صلب يشبه العظم ويقوم مقام السلسلة . ويرتأي الدكتور هارفي ان الاخطبوط وحية البحر شيء واحد ويشاركهُ في هذا الرأي جمهور من العلماء الثقات فاذا صح ذلك كان للدكتور هارفي الفضل في كشف

القناع عن هذين السرين الغامضين ووضعها على اساس علمي متين

ولما كانت غايتهُ ان ينتفع العلم باكتشافهِ ارسل الحيوان الى الاستاذ ڤرل في مدرسة يال الجامعة وكان هذا النوع من الحيوان درسهُ الخاص . فدرسهُ درساً مدققاً ونشر نتيجة بحثهِ فيهِ . وقد سمّى الحيوان باسم مكتشفهِ " اركيتوثس هارفايي " اي الاخطبوط العظيم

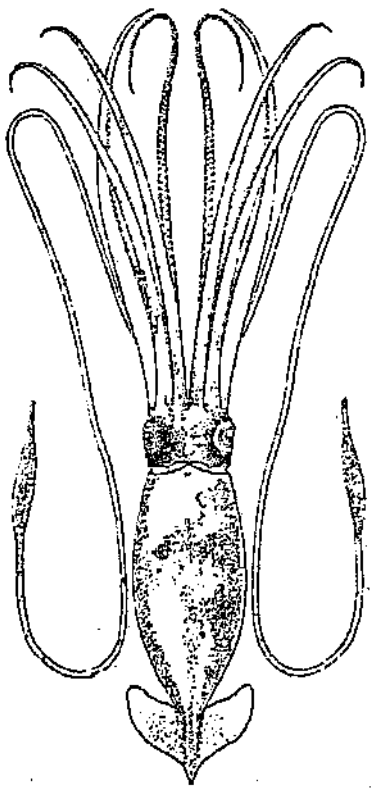

الاخطبوط الطويل الذراعين كما رسمهُ الاستاذ ڤرل

الذي اكتشفهُ هارفي . وسماهُ غيرهُ باسم " ميغاتولوثس هارفايي " تذكاراً للخدمة التي بها خدم هارفي العلم

والاخطبوط الكامل تحفوظ الآن في الكحول في وعاء كبير بمدرسة يال الجامعة . والذراع الاولى التي قطعها توما بيكوت تحفوظة في متحف مدرسة سنت جون في جزيرة الارض الجديدة

اسمعيل باشا سري والري الصيفي

لما افتتح البارلمنت الانكليزي بالامس وخطب فيهِ ملك الانكليز ذاكرًا اهم المسائل الخطيرة اطال الكلام على زرع القطن وامَّل ان المساعي المبذولة لاتساع مساحة الاراضي التي يزرع القطن فيها تكلَّل بالنجاح

وما يهتم بهِ الآن ملك عظيم الشان مثل ملك الانكليز اهتمَّ بهِ محمد علي باشا منذ اعوام كثيرة ولا يزال اعظم ما يهتم بهِ اهالي هذا القطر وهو الغرض المقصود من توسيع نطاق الري الصيفي ومن " المشروعات المتجددة " التي عملها اسمعيل باشا سري في المديريات الوسطى من هذا القطر او لا يزال آخذًا في عملها فيها . وقد اطلعنا الآن على رسالة لاديب رأى هذه الاعمال ووقف على تفاصيلها فنقلنا عنها الفصل التالي قال :

في اول مارس سنة ١٨٩٩ وهو تاريخ يجب ان ينقش على افئدة جميع اهالي مصر الوسطى صدرت الاوامر الى سعادة اسمعيل باشا سري بتركهِ اشغال تفتيش ري القسم الثاني والقيام الى المنيا لتحضير مشروع لتحويل الاراضي التي كانت تروى في ايام الفيضان فقط الى نظام ري صيفي اي الى نظام ري مستديم

فظن بعض من لا يدركون دخائل الامور ولا يفسرون الحوادث الا بظواهرها ان سعادتهُ ترك منصب مصر وسكناها ونُقل الى الصعيد ابعادًا لهُ لاخلاء الجو لغيرهِ . وبقي هذا الظن متسلطًا على افكارهم الى ان اخذت اعمال المشروعات تبرز من حيز الفكر الى حيز الوجود وعند ذلك حدث شبه رد فعل في الافكار وعلم الجميع ان كبار موظفي الري قد اعطوا القوس باريها وان المشروع المجيد الذي انتدب صاحب الترجمة لاجلهِ اعظم مشروع من نوعهِ عمل في القطر السعيد من يوم جرى فيهِ نهر النيل المبارك . ولكي يدرك القارىء خطارة هذا المشروع الجليل وماهية الاعمال التي تعمل ومقدار الفوائد التي تعود على البلاد والعباد ابحث في الموضوع بحثًا تفصيليًّا فاقول

علم الخاص والعام ان الخزان العظيم الذي عمل في اصوان كان الغرض من تشييدهِ اولاً خزن المياه في اواخر الفيضان وحفظها ذخيرة ثمينة تهادى بها اراضي القطر في مدة الصيف ايام تكون مياه النيل شحيحة والزراعة الصيفية في اشد الحاجة اليها . والغرض الثاني منهُ اعطاء المياه الصيفية اللازمة لمساحات كبيرة من الاراضي التي كانت تروى ري حياض فقط . وري الحياض هذا هو ان المياه تعمُّ الاراضي في مدة النيل وتبقى فوقها مدة نحو ٤٠ يومًا ثم تصرف عنها ويزرعها الاهالي الزراعة الشتوية وتبقى الارض بعد حصدها خاوية خالية كانها لابسة

اثواب الحداد على عزها الماضي وحرمانها من ثوبها الاخضر القشيب. والاراضي التي كان في عزم نظارة الاشغال تغيير نظام ريها عند انتداب صاحب المشروع تبلغ مساحتها نحو ٣١٢٠٠٠ فدان وهي واقعة في اقاليم مصر الوسطى بين قناطر تقسيم ديروط جنوباً وصليبة حوض قشيشة شمالاً وبين مجرى البحر اليوسفي المشهور غرباً وجسر المحيط الغربي شرقاً. وسلسلة الحياض هذه تمتد في ثلاث مديريات وهي مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف

قلنا ان المياه اللازمة لري هذه الاراضي صيفاً تيسرت بعمل خزان اصوان لخزن المياه ولكن وجود المياه ليس كافياً وحدهُ لضمانة الري وتوصيل الماء الى الاراضي ولذلك بنيت قناطر هجز على النيل في اسيوط تساعد لخزان اصوان يرفع منسوب مياه النهر لكي يدخل المقدار الكافي منها في الترعة الابرهيمية التي تنقل المياه الى المنطقة الصيفية القديمة والمنطقة الصيفية الجديدة التي هي موضوع كلامنا. بقي اذاً بعد ان تيسرت المياه الكافية وصار في الامكان توصيلها الى الاراضي شتاء وصيفاً عمل الاعمال اللازمة لتوزيعها على تلك الاراضي بتمام الترتيب والنظام وهذه هي اعمال المشروعات العظيمة

تقدَّم القول ان صاحب المشروعات حضر الى المنيا في اوائل سنة ١٨٩٩ وبعد حضوره رأى ان من مصلحة اعماله الجديدة مشاهدة بعض اعمال الري المهمة في اوربا لا سيما ما عمل منها في شمالي ايطاليا لما اشتهر عنها من ترقي الري فيها وانتظامه فطلب من نظارة الاشغال ان تأذن لهُ ليذهب بصفة رسمية الى تلك البلاد فاذنت لهُ في ذلك عن طيبة خاطر وسافر اليها في صيف سنة ١٨٩٩ وبعد ان قضى مدة شهر يطوف في تلك الاقاليم ويشاهد اعمال الري فيها عاد الى مصر واتحفها بمؤلف عن رحلتهِ كتبهُ باللغة الانكليزية وسماهُ « الري في وادي نهر البو » جاء فيهِ على كل ما جلَّ نفعهُ وعظمت فائدتهُ ووصف حالة الري في شمالي ايطاليا وصفاً وافياً فحق لهُ ان يقول عن ذلك التقرير كما قال الفيروزابادي عن قاموسهِ « خذوا ايها الايطاليون وصف ربكم من رجل مصري »

وبعد عودتهِ الى المنيا قضى بقية عام ١٨٩٩ والعام الذي يليهِ مكبًّا على درس المشروع وتحضيرهِ فعمل تصميمات الترع والفروع اللازمة لضمانة ري جميع الاراضي رياً وافياً وقد اعطى للمصارف وفروعها حقها من الالتفات فلم يخطط ترعة لزيادة الحياة في الارض الاَّ وخطط بجانبها مصرفاً لحفظ تلك الحياة وضمانتها ووضع ايضاً تصميمات قناطر الموازنة لحفظ المياه على منسوبات معلومة ووضع رسومات اقفام الترع وقناطر الصرف لاعطاء المياه وصرفها عن الاراضي بمقادير قانونية وقرر مواقع قناطر المرور تسهيلاً لحركة الاهالي فجاء المشروع كافياً وافياً وارسلهُ الى

نظارة الاشغال العمومية فصادقت عليهِ كما هو بدون تغيير ولا تبديل وشرع في تنفيذهِ في اوائل سنة ١٩٠١ وبوشر العمل في القسم الشمالي من مديرية اسيوط وهو القسم الواقع شمالي قناطر حجز ديروط ومساحتهُ نحو ٥٨٠٠٠ فدان

فوزعت الاعمال من انشاء ترع وحفر مصارف واقامة قناطر وتشييد ابنية على المقاولين واستمرَّ العمل مدة سبعة اشهر واهالي تلك المنطقة يظنون ان زمان الاستبداد قد عاد وان الحكومة تقطع اراضيهم قصد اتلافها وبقية اهالي مصر لا يدرون ماهية ذلك العمل العظيم ولا يدرون اي روح جديدة تبث في جسم بلادهم الى ان جاء اليوم العاشر من شهر اغسطس سنة ١٩٠١ وهو اليوم الذي تقرر رسميًّا لفتح افام الترع التي انشئت في تلك المنطقة ودخول المياه اليها بانتظام لاول مرة في حياتها فاطلقت المياه في الترع في صباح ذلك اليوم في حفلة حافلة حضرها اكابر القوم واعيان مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف وعدد كبير من الاهالي وكان من الحضور مديرو جرجا واسيوط والمنيا وبني سويف والفيوم وباشمهندسو المديريات التي ذكرناها فأُنشدت قصائد المديح وتليت خطب الثناء على المشروع وصاحبهِ ولكن انَّى لقرائح الشعراء ان تفي ذلك المشروع وصاحبهُ حقهما من المدح والثناء وانى لالسنة الخطباء ان تفيض بوصف تلك الاعمال العظيمة ونتائجها العجيبة وكل من جال في انحاء تلك الحياض في الاعوام الماضية ورأى كيف ان مياه الفيضان كانت تغرقها مدة ثلثة اشهر من السنة وحرارة الشمس تجففها مدة اربعة اشهر أُخرى ثم جاء وشاهدها الآن ورأى الزراعة فيها تتلو الزراعة والمحصول يجيء بعد المحصول والاراضي تنبت زبرجدًا والزبرجد يزهر فضة وتثمر ذهبًا ويفيض على السكان بالخيرات التي لم يكونوا ليحلموا بها بل لو اعارنا المنطاد جناحهُ والهواء براحهُ فارتفعنا بعض مئات من الاقدام فوق سطح تلك المنطقة وشاهدنا الترع كالشرايين تخرج من قلب قناطر ديروط وتنقل ماء الحياة الى كل جزء من اجزاء تلك المنطقة ورأينا المصارف كالاوردة تجري فيها المياه التي تصفت عن تلك الاراضي لادركنا ماهية العمل العظيم الذي قام بهِ هذا العالم المفضال وعلمنا حق العلم انهُ لا يزال في السوداء رجال

وفي اوائل سنة ١٩٠٢ باشر العمل في المنطقة الواقعة في مديرية المنيا ومساحتها نحو ١١٣٠٠٠ فدان فقسمها الى قسمين وباشر العمل في القسم الجنوبي منها ومساحتهُ نحو ٥٥٠٠٠ فدان فانشأ ترعهُ ومصارفهُ واقام ابنيتهُ على ما وصفناهُ في المنطقة السالفة الذكر وما جاء العاشر من اغسطس سنة ١٩٠٢ الاَّ وكانت هذه المنطقة ايضًا مستعدة تمام الاستعداد للري الصيفي فتدفقت في ترعها المياه وجرى في عروقها دم الحياة وأَخذ الاهالي في الحرث والزرع وكلهم

السنة شكر ودعاء ومدح وثناء على المشروع وصاحبهِ

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ انتقل الى القسم الشمالي من منطقة المنيا وداهمهُ بخيلهِ ورجلهِ وهاجمهُ من كل ناحية وصوب ودامت المعركة مدة سبعة اشهر فانجلت عن انتصارهِ انتصاراً باهراً كما هو المنتظر وتمَّ الى مساحة الاراضي الصيفية نحو ٥٨٠٠٠ فدان من اراضي الحياض ونشر فيها اعلام العصر الحديث فوق اطلال العهد القديم وبرهن للملأ ما توصل اليهِ الري في مصر من التقدم والترقي

وقد سهَّل للفلاح كل السبل وعلَّمهُ كيف يوزع المياه فوضع تحت تصرف الترع وفروعها اقساماً من المواسير لساق فرعية تروي كل منها نحو خمسين فداناً ريًّا تامًّا فلم يبقَ على الفلاح بعد ذلك الاَّ ان يفتح فم مسقاهُ حتى تتدفق الى ارضهِ المياه ومتى تمَّ ريها على ما يشتهي يعود فيقفلهُ بسهولة

ثم انهُ وجد ان المواصلات بين البلاد قد تعسرت بسبب تقطع الاراضي بالترع والمصارف فوضع مشروعاً مفصلاً لعمل سكك زراعية تصل بين البلاد المهمة وترصلها الى اقرب محطة من محطات السكة الحديدية ومنها الى شاطئ النيل وذلك لكي يسهل للاهالي الانتقال من مكان الى مكان ولا يتعذَّر عليهم ان ينقلوا اثقالهم من محصولات وغيرها باسهل الطرق واقربها سواء كان على ظهر الحمار او في عباب البحار

فيجمع مما تقدم ان صاحب المشروع قد اتمَّ تحويل نحو ١٧٠٠٠٠ فدان للري الصيفي في السنوات الثلاث السالفة الذكر وبقي عليهِ بحسب التصميم الاصلي الذي ذكرناهُ في اول هذه المقالة نحو ١٤٠٠٠٠ فدان اخرى الاَّ ان نظارة الاشغال العمومية وجدت ان المياه التي يخزنها الخزان تزيد كثيراً عما يطلبهُ المشروع الاصلي فارتأت ان تحوِّل بقية حياض مديرية بني سويف وحياض مديرية الجيزة ايضاً الى الري الصيفي المستديم وتبلغ مساحة هذه الاطيان نحو ١٧٣٠٠٠ فدان . فطلبت من صاحب الترجمة ان يدرس هذا المشروع الجديد ويضع لهُ الرسوم والتقادير اللازمة كالمعتاد ففعل وارسل نتيجة مباحثهِ الى النظارة في سنة ١٩٠٣ ولا تزال الى الآن في معرض البحث والمراجعة وعليهِ فيكون ما لا يزال مصمماً على تنفيذهِ من هذا المشروع العظيم نحو ٣١٣٠٠٠ فدان اي نحو ضعفي ما تمَّ تنفيذهُ الى الآن ويقتضي لاتمام ما بقي خمسة او ستة اعوام من اول سنة ١٩٠٤

وهنا اطال الكاتب في وصف هذا المشروع واطنب في تبيان فوائدهِ فانهُ يعجز عن ان يرسم في ذهن القارىء صورة واضحة لفخامتهِ ولا تتضح هذه الصورة الاَّ بالبراهين القاطعة وعليهِ فسأذكر بمجمل ما جمعتهُ عن الاعمال التي عملت لاخراج ما تمَّ من المشروع من حيز الفكر الى عالم

الوجود وبيان الفوائد التي عادت منهُ على القطر عمومًا وعلى اصحاب الاطيان خصوصًا فاقول : --

يعجب القارئ اذا علم ان مقدار ما حُفر من التراب في انشاء الترع والمصارف وفروعها وفي توسيع بعض الترع وتعديل البعض الآخر في السنوات الثلاث الماضية من اول سنة ١٩٠١ الى آخر سنة ١٩٠٣ بلغ خمسة وعشرين مليونًا من الامتار المكعبة وهذا المقدار من التراب قد رفع على اكتاف نحو ١٠٠٠٠٠ من العمال احضرهم المقاولون من اهالي الصعيد لا بالسوط والتهديد كما كانت تفعل الفراعنة من قديم الزمان وحكام مصر المحدثون قبل عهد الاصلاح بل بالدرهم والدينار الذي كانت الحكومة تنفقهُ من خزائنها عن طيبة خاطر

وبلغ عدد الابنية التي اقيمت نحو ٨٥٠ بناء من قناطر موازنة واقام ترع ومصبات مصارف وقناطر للمرور وسحارات وهدارات ومنازل للتفتيش

وبلغ طول الترع التي عملت ١٠٤٠ كيلومترًا وطول المصارف ٨٥٥ كيلومترًا فيكون مجموع هذه المجاري نحو الفي كيلومتر اي نحو ضعف المسافة بين الاسكندرية واصوان

وبلغت نفقات هذه الاعمال جميعها نحو ٨٢٠٠٠٠ جنيه مصري صرفت جميعها من خزائن الحكومة وستردُّ اليها على اقساط من علاوة الضرائب التي ستضرب على الاراضي التي تمَّ اصلاحها

واذا جعلنا الماضي قياسًا للمستقبل وحفظنا النسبة بين ما تمَّ من المشروع وبين ما سيتمُّ في الاعوام القادمة وجدنا ان مايلزم لاتمام المشروع باكمله هو انشاء نحو ١٩٠٠ كيلومتر من الترع ونحو ١٦٠٠ كيلومتر من المصارف وتبلغ مقادير التراب الذي يستخرج منها نحو ٥٠ مليون متر مكعب وتقتضي بناء نحو ١٦٠٠ من انواع الابنية التي فصلناها في ما تقدم ويبلغ المال الذي سوف ينفق في سبيل اتمام كل هذه الاعمال نحو ١٦٠٠٠٠٠ جنيه او قل من مليوني جنيه

ولبيان الفوائد التي نجمت عن ذلك المشروع لابدَّ للقارئ ان يعلم ان الفدان من الاطيان التي تحوَّلت الى نظام الري المستديم كان لا يساوي قبل تغيير نظام ريهِ اكثر من ٣٠ جنيهًا وكان محصولهُ لا يزيد على جنيهين او جنيهين ونصف سنويًا اما الآن فقد اصبح لا يباع باقل من سبعين جنيهًا ومحصولهُ لا يقلُّ عن عشرة جنيهات في السنة واذا اخذنا من الماضي اعلى الاثمان واكبر المحصولات ومن الحاضر اقلها واعتبرنا الثمن الماضي ٣٠ جنيهًا والثمن الحالي ٦٠ ومقدار المحصول في الماضي ٣ جنيهات والحالي ثمانية فقط وجدنا ان ما تمَّ تحويلهُ الى الري الصيفي يزيد في ثروة البلاد نحو خمسة ملايين من الجنيهات وفي ايراد اصحاب تلك الاراضي السنوي نحو ٨٠٠٠٠٠ جنيه سنويًا. واذا جعلنا الماضي قياسنا هنا كما جعلناهُ في تقدير عظمة المشروع نجد ان هذا المشروع الكبير سيزيد في ثروة القطر المصري بعد تمامهِ نحو خمسة عشر

مليونًا من الجنيهات على الاقل ويزيد في ايراد الاهالي نحو مليوني جنيه سنويًّا . فهذه فوائد المشروع الجليل الذي قام بهِ سعادة الهمام اسمعيل سري باشا في اراضي مصر الوسطى وتلك هي عظمة العمل الذي ربما لم يسمع بهِ كثيرون من سكان وادي النيل

خطر علينا وعلى الدين

تمهيد

مضى زمن طويل لم أُرِد ان احرك فيهِ لسانًا او أُجري على القرطاس قلمًا اعتقادًا مني بان البرهة يمضيها الناشئ في التحرير خير منها الف مرة برهة يمضيها في المطالعة والاستفادة . وليست الغوغاء التي يخلقها المرء حول اسمهِ طلبًا للشهرة بنافعةٍ الاَّ الى حين ثم ينكشف ذلك الطلاء الكاذب فيظهر الجوهر ناقصًا معيبًا لا محيص لهُ من السقوط . ولقد كنتُ منذ عامين احببت ان اكتب الكلمة التي انا اليوم كاتبها نصيحةً لامتي واحترامًا لدينها ولكني اعترتني الرهبة وخشيت ان استفزَّ غضبها لدعوة كنتُ لا يزال يعتريني بعض الشك في صحتها ففضَّلت ان اطويها خاطرًا في صدري وتركت للزمن ان ينضجها بعد ان تثقف وتصقل في نار البحث والتدقيق فإما هي معدن فاسد يلقى في زوايا النسيان وإما هي جوهر كريم يصحُّ ان يهدى الى عرائس الاذهان

والآن بعد مرور عامين طويلين قلَّبت فيهما تلك الدعوة على جميع وجوهها وعرضتها على محل النقد والمناقشة لا اجدني اخطأت الاَّ في عدم الجهر بها الى الآن مع شدة احتياجنا الى معرفتها والعمل بها لا سيما في هذه الايام التي شاعت فيها كلمة الدين من اناس اتخذوها تجارة فلم يعد يهمهم الاَّ ان ترددها افواههم صباحَ مساء وسيلة للتغرير واحتيالاً لكسب رضى العامة وشيوع ذكرهم بينها غير ملتفتين الى الخطر العظيم الذي يدفعون اليهِ الامة ودينها كما اندفعت اليهِ اوربا من قبل فكانت النتيجة وبالاً على المسيحية والمسيحيين

والذي اريدهُ بعد ذلك من كل قاريء ان يمعن النظر كل الامعان في معنى ما اقولهُ واقصدهُ فلا يحمل اقوالي على غير محملها ولا يندفع مع تيار الغضب ليرميني بما انا بريءٌ منهُ في حين انهُ لو تجرَّد برهة عن اوهامهِ التي ارتكزت في ذهنهِ ونظر في الامر بعين فكر سليم لا يدين الاَّ بما يفهم لانجلت لهُ الحقيقة ولعرف ان ما اكتبهُ اليوم اقل ما يمكن ان يقال في مثل هذا المقام

نحن والدين

قالوا ان الأُمة اذا كانت جاهلة متأخرة ثم قُدِّر لها ان تخطو الى الامام وتنهض راغبة في التقدم فلا بد لها من ادوار كثيرة طبيعية تتناوبها واحداً بعد الآخر . واول هذه الادوار ان يكثر فيها الناصحون والمرشدون فلا يزالون يقرعون الآذان ايقاظاً للنائم وتنبيهاً للغافل ولا تزال الامة تغضي عن اكثر ما يقولون ردحاً من الزمان حتى يتأثر مجموعها كما تتأثر الصخرة الصماء من قطرات الماء فتهم الى السعي واتباع القول بالعمل وحينئذٍ يصح ان يقال انها نشطت من عقالها وقامت تنفض الغبار عن اكتافها ودخلت في دور آخر هو دور الحياة والعمل

فاذا صح قولهم هذا — وهو مما لاشك فيهِ — وصح ان الامة المصرية كانت ولا تزال متأخرة جاهلة — ولا اظن مصرياً ينكر ذلك — فانها الآن في الدور الاول من نهوضها ولذلك تجدها على كثرة الصائحين بينها والمنادين فيها تكاد لاتفقه كلمة من عشر كلمات يلقيها عليها الناصحون والمرشدون . وخليق بنا ونحن لا نزال في اول الطريق ان نتساءل الى اين نساق واي سبيل نتبع وهل في ما نحن سائرون اليهِ نفع او ضرر حتى لانرمي بقصور النظر ولا نكون كالتائه في البيداء لا يعلم الى النجاة ام الى الهلاك يسير . ومما لاريب فيهِ ان تتبُّع حركة الافكار في البلاد واستجلاء الاغراض التي يسعى اليها ارباب الاقلام هما وحدهما خير ما يؤدي بنا الى الغاية المقصودة . فلننظر الى اي شيء ترمي حركة الافكار والى اي غرض يعمل ارباب الاقلام لنعلم الى اي طريق نحن مسوقون

دُرْ في البلاد طولها وعرضها واستجلِ غوامض افكار ابنائها وسلْ كلَّ من تريد منهم عن اسباب تأخرنا وانحطاطنا ثم عن الطريق الذي يؤدي الى نهوضنا وارتفاعنا وبالجملة عن دائنا ودوائنا تجدهُ مهما اطال في الشرح وعدَّد من الاسباب لا يخرج الا حول سبب واحد تنتمي اليهِ جميع الاسباب . وهذا السبب هو الدين فتركهُ والجري على خلافهِ هما علة ما نحن فيهِ والعملُ بهِ هو الدواء الوحيد لشفائنا من كل ما اصابنا من الامراض

دع هؤلاء وراقب معلمي ابناء الامة ومربي اطفالها واستطلع خلاصة ما يبثون من النصائح والارشادات تجد ان الدين هو القدوة التي يغرسونها في الاذهان مثالاً لكل كمال ومنبعاً لكل حياةٍ واساساً لكل عمران

دع هؤلاء ايضاً وانظر الى اكثر المؤلفات التي تنشر كل يوم وحسبك ان تمرَّ عليها مرًّا لتعرف ان اصحابها وان اختلفت بينهم المنازع وتضاربت منهم الآراء متفقون تمام الاتفاق على انهُ لا رقي ولا نهوض الا بالدين . وقليل او اقل من القليل من هؤلاء المؤلفين من تعثر لهُ

على صحيفة لا تجدهُ قد ضرب فيها على نغمة الدين

دع هؤلاء ايضاً وألقِ بالاً الى الشعراء طلاَّب الخيال وعشاق الكمال تجدهم بين صغير وكبير بليغ وغير بليغ لا يهيمون الاَّ بصورة واحدة هي صورة الدين يمثلونها للافهام اله الحب ومعنى الجمال وكأنهم لولاها ما ذاقوا للكمال لذة ولا تاهوا في بيداء الخيال

دع هولاء ايضاً واتلُ ماينشر في البلاد من جرائد ابنائها ومجلاتهم سياسية وعلمية ومجونية تجدها على كثرتها وتنوع مذاهبها واختلاف اغراضها لا تهتم بشيء اكثر من المناداة بالدين ولا تكاد تتفق الاَّ حينما تتغنى بكلمة الدين . وتعجب في امر هذه الصحف انها ما ظهرت في البلاد دعوة اصلاح او ارشاد الاَّ وتشاكست فيها حتى تمرَّ الايام فلا يبقى من آثار الحديث عن تلك الدعوة الاَّ غبار ذلك التشاكس لكنها متى هبت عليها ريح الدعوة الى الدين اجتمعت كلها لساناً واحداً ويداً واحدة حتى كأنها أُفرغت في قالب واحد او كأنك اذ تطوي احداها لتتلو الاخرى لا ترى الاَّ صحيفة واحدة تعددت لها الاسماء

هذا كلهُ وكثير غيرهُ لا يتسع المقام لافاضة الشرح فيهِ يدلُّ على مبلغ تسلط الدين على عقولنا وانخداع انفسنا انخداعاً لامثيل لهُ لكل ما يأتي من جانب الدين بل يدل على استسلامنا استسلاماً اعمى الى ماضينا الذي يجب ان نبتعد عنهُ كل الابتعاد ان كنا نريد ان لا نبقى كما نحن وكما كنا جهلاء ضعفاء

ومن اغرب ما فينا اننا مع ما نحن فيهِ مما لا استثنيهِ الاَّ هوساً دينياً لا تجد واحداً منا الاَّ وهو شاكٍ بالدين عدم اتباع الدين ونبذ قواعده فكلنا شاكٍ وكلنا مشكوٌّ وكلنا داعٍ وكلنا مدعوٌّ . وكأني بنا بعد كل ذلك الصياح وتلك الجلبة قد خرجنا من الدنيا ولا نحن استفدنا ولا الدين استفاد . بل اغرب من هذا واعجب ان اولئك الذين تسمع لمناداتهم بالدين بيننا كل يوم وكل برهة ضوضاء تصمُّ الآذان وتزعزع الجبال هم اجهل الناس بالدين وابعدهم عن اتباعهِ وما هم الاَّ متاجرين اتخذوا كلمة الدين مطية للتغرير والتضليل توصلاً الى اغراضهم بعد ان علموا انها خير ما يرضي العامة فكان من ذلك انهُ ما جدَّ في البلاد حادث ولو كان تافهاً لا يلتفت اليهِ فرد عاقل فضلاً عن امة فضلاً عن دين يجمع امماً إلاَّ وسبقتهُ كلمة الدين ثم لا تزال تتبعهُ هذه الكلمة حتى يقبر في زوايا النسيان ويكون آخر ما يشيعهُ الدين

ميراثنا الديني

حقًّا ان الانسان ليقف حيال تلك المحال التي شرحناها وقفة المندهش المفكر سائلاً من اين سرى الينا هذا الاعتقاد الذي ترددهُ افواهنا صباح مساء . ثم كيف اصبحنا آلات جامدة لا تكاد

نتحرك الاَّ بالدين وللدين كأنما لم يخلق الله لنا عقولاً او كأنما نحن مسخرون بلا ارادة ولا تمييز لهذا وذاك على ما اظن اسباب جمة اهمها ما ورثناهُ وتوارثتهُ العصور السالفة من الركون في كليات امورنا المعاشية وجزئياتها الى تقليد اسلافنا المعروفين بالورع والتقوى في جميع اعمالهم واقوالهم ونسبة ذلك الى الدين او نسبة الدين اليهِ . فايما كلمة او ايما حركة صدرت من رجل قريب عهد بنشأة الدين سواء اخطأ فيها او لم يخطئ وسواء راعى فيها مقتضيات الزمان والمكان او لم يراعِ اخذناها نحن عنهُ قضية مسلمةً . وما اسرع ما نلبسها ثوب الدين حتى لا يتسع فيها المجال للبحث والتفنيد . كذلك من جملة الاسباب التي آلت بنا على تعاقب الازمان الى ما نحن فيهِ انتشار بعض المذاهب المتطرفة وميل العامة الى التغالي في الدين واعتبارهِ كافلاً بكل شيء أخذاً بظواهر بعض الآيات والاقوال المأثورة كقولهِ تعالى " وما فرطنا في الكتاب من شيء " او كقول سيدنا علي كرم الله وجههُ " لو ضاع عقال بعيري لوجدتهُ في القرآن "

ولعلي لا أجد هنا اثباتاً لذلك خيراً من توجيه الانظار الى التاريخ وتعقُّب حوادثهِ . فكم من حركات دينية وقفت في وجه مكتشفات علمية صحيحة لا لعلة اكثر من تأويل فاسد او فهم سقيم . ثم كم من كلمة قيلت عفواً بل كم من حركة بدرت من بعض قريبي العهد بنشأة الدين كانت حاجزاً منيعاً ضد كثير من المبادىء العلمية الثابتة لا لسبب آخر غير انتمائها لجانب الدين . والأمثلة على ذلك جمة يملأ شرحها المجلدات الضخمة ولكني ذاكرهنا للقارىء بعضها بالايجاز لتجسم الحقيقة امام عينيهِ فيعلم اي ميراث ورثنا عن اجدادنا الغابرين

اثبتت المدينتان المصرية واليونانية ان الارض كروية الشكل لا منبسطة كما يتوهم الناظر الى سطحها لاول وهلة ولكن هذا القول لبث لا يتعدَّى العلماء ومن يلوذ بهم الى ان جاءت المدنية الاسلامية وعرَّبت مؤلفات علماء اليونان فسرى الى المسلمين هذا القول وقامت تذود عنهُ فئة الباحثين والعارفين ولكنها لم تكد تظهر بهذا القول حتى قامت ضدها حرب شعواء الزمتها ان ترجع القهقرى زمناً طويلاً من جماعة المتطرفين المدعين التمسك بالدين اولئك الذين لم يكن لديهم من الحجج اقوى وامضى من بعض آيات ورد فيها ان الله بسط الارض فمحال بعد ذلك ان تتصوَّر اذهانهم انها كروية الشكل والاَّ لزمهم تكذيب القرآن والعياذ بالله . نعم لا انكر ان بعض كبار الفقهاء رأى ورأيهُ الحق ان لا تنافي بين الآيات واعتقاد كروية الارض لان البسط معناهُ الاتساع ولكن هذه الحقيقة لم تشع في الامة وبقيت يعتريها الشك عند كثير ممن نسميهم علماء . وكأني بنا لولا اتصال نور المدنية الغربية الينا وقيام الادلَّة المحسوسة من جانب هذه المدنية على صحة هذا القول لبقينا الى الآن يرتاب القليل منا فيهِ ويعتقد

اكثرنا كذبة تشيعاً للقرآن واخذاً بظاهر اللفظ في الآيات

مثل آخر — انتهت الدولة الاموية وكان الاسلام قد اتم أغلب فتوحاته ثم جاءت الدولة العباسية فاشتغلت الامة فيها بالنظر في العلوم ولم يمضِ قليل من السنين حتى برَّز كثير من ابنائها في انواع شتى ونبغ كلٌّ منهم في ما اشتغل به وكان اهم ما انجهت اليه الافهام النظر في علوم الاقدمين كاليونان والرومان والهنود والاعجام فبحثوا فيها طويلاً وارتاحت اليها عقولهم واخذوا يذيعونها بين الافراد الاَّ انهم لم يكادوا يظهرون بهذا المظهر حتى جاءتهم صيحة من جانب رجال الدين بانهم ينشرون اقوالاً تخالف ماجاء به القرآن . وما اسرع ما اتُّهموا بالزندقة والكفر فكان من هذا الاتهام مسوغ لمحاربتهم باحراق تآليفهم تارة وتشريدهم تارة اخرى وهدر دمائهم في غالب الاحيان . وما زال امرهم كذلك حتى انطفأت نارهم واستتب لفئة التطرف وسوء الفهم الظفر باسم الدين . ولعمر الله ما للدين في ذلك من ذنب ولكن هم جهلة الاغبياء السقيم الفهم استعملوه سلاحاً ماضياً تخلب برقهُ جهل العامة فتشيعت اليهم . فهم وحدهم المذنبون وهم هم المجرمون

مثل آخر — ولماذا نذهب بالامثال بعيداً وها نحن منذ بضع سنوات انتشر في بلادنا مرض الكوليرا ذلك المرض الذي اثبت الطب واثبتت المشاهدات اثباتاً لا مجال للشك فيه انهُ من الامراض المعدية وانهُ ينتقل من الشخص الى غيره بطريق العدوى . فما كدنا نسمع الاطباء يعلمون الامة ذلك وينصحون الناس باجتناب الاختلاط حتى اخذت البعض منا الريب وجعل جماعة منا يتساءلون في معنى الحديث القائل « لا عدوى ولا طيرة في الاسلام » وآخرون يعترضون بالحديث القائل « فرَّ من الاجذم فرارك من الاسد » ففريق مكذبون وفريق مصدقون ليس الاَّ تشيعاً لاحد الحديثين ودون ان يكون للبحث العلمي قيمة تلقاء هذا التكذيب والتصديق

امثلة اخرى — لو اردنا ان نستوفي ذكر امثال هذه الحوادث لطال بنا الشرح وخرجنا عما نحن فيه فحسبنا ما تقدم ثم حسبنا انهُ وجد في عهد المدنية الاسلامية نفر قالوا بلزوم العلوم الدنيوية للانسان لزوم الماء للنبات فصاح في وجههم آخرون يرددون قوله تعالى « وما خلقتكم الاَّ لتعبدون » . ثم قالوا ان قيمة الانسان في الحياة بعمله وجده فصاحوا عليهم « الاسلام يعلو ولا يعلى » . ثم قالوا بعد انقضاء عهد الوثنية لانحريج على تصوير الاجسام توصلاً الى معرفة علم التاريخ الطبيعي فصاحوا ولا يزالون يصيحون « كل مصور في النار » ثم اشياء اخرى كثيرة كلها على هذا القياس

هل يدهشنا بعد ذلك ان يكون مثل السلطان محمود الثاني يرى في بقاء الجنود الينكشارية على نظامهم القديم خطرًا على الاسلام والمسلمين ثم يريد ان يبدل نظامهم فيظهر امامهُ شيخ الاسلام وفي يمينهِ فتوى بان مثل هذا الاصلاح ليس من الدين بل ينافي الدين . أو هل يدهشنا ان يراد ادخال العلوم العصرية كالتاريخ والجغرافيا في عدد العلوم التي تعلم بالازهر فيضجُّ البعض منا قائلين هذا ضد الدين . او هل يدهشنا ان يقوم منا داعٍ الى تعليم النساء فلا نكاد نتلو دعوتهُ حتى ننزع بآمالنا الى الدين متسائلين هل أُمر بذلك او لم يأمر ثم يقوم قاضي قضاتنا مجيبًا فيجعل تعلم الدين فرضًا وتعلم العلم مستحبًّا مخالفًا بذلك الحديث الشريف « من اراد الدنيا فعليهِ بالعلم ومن اراد الآخرة فعليهِ بالعلم ومن ارادهما فعليهِ بالعلم » . أو هل يدهشنا اخيرًا ان يقوم منا غدًا من يريد انشاء طريق او عمارة بيت فنقع في الحيرة ونتساءل بماذا أُمر الدين

هذا نحن وهذا ما ورثنا فلا غرابة بعد ذلك ان تراناً كلما عرض فينا نقص يراد استكمالهُ آلات تسبح باسم الدين دون ان يتجاوز ذلك التسبيح الافواه الى الحلاقيم ودون ان نعرف اذا كان الدين حقيقة قد استكمل هذا النقص ثم كيف ارشد الى طريق استكمالهِ . بقي ان نعرف هل في النداء بالدين على هذه الصفة نفع لنا او للدين وهو ما نبحث فيهِ الآن عسى ان يهتدي بهِ قوم يبصرون

هل في النداء بالدين فائدة

عرفت مما تقدم اننا ورثنا من اجدادنا كلمة تسمى « الدين » تصفها السنتنا بكل صفات المدح والكمال ولا نكاد نفهم من حقيقتها سوى بضع عادات وتقاليد انتهيا كلها الفهم السيء والتغالي المضر . فقل لي بربك اي فائدة لنا من النداء بالدين على تلك الحال او اي فائدة اجتناها الدين وقد مضت الايام والسنون ونحن على هذا النداء

دع التعصب للماضي وانظر في الامر بعين غير شوهاء تجد اننا اليوم كما كنا منذ اعوام وكما كنا منذ قرن نضع الدين نصب اعيننا في كل حركاتنا وسكناتنا ونعتقد اعتقادًا راسخًا اننا ما سقطنا الاَّ لسقوط الدين بيننا ويحث بعضنا بعضًا على التفاني في اتباعهِ وقصر حياتنا عليهِ فما الذي استفدناهُ او ما الذي استفادهُ الدين

يخيل لي اننا لم نستفد غير غوغاء الهتنا عن النظر في شؤوننا السياسية والاقتصادية حتى اصبحنا نعيش عيشة النبات وكانت سببًا في اتهامنا بالتعصُّب الديني والجهل ورمي الدين الاسلامي الذي اعتقدنا ونعتقد اننا ما سقطنا الاَّ لسقوطهِ بانهُ علة ما نحن فيهِ من التأخر والانحطاط .

هذا هو كل ما استفدناهُ وفي ظني ان نظرة واحدة يلقيها كل باحث في الامة الآن وقبل قرن من الزمان تكفيهِ لكي يقتنع باننا لم نستفد شيئًا آخر

اما ما استفادهُ او يستفيدهُ الدين من النداء بهِ في كل آن ولكل مناسبة فربما توهم الفكر لاول وهلة ان في النداء بهِ حثًّا على التعلق باذيالهِ وتوجيهًا للانظار اليهِ ومن هذين يكون انتشارهُ وتمكُّن كلمتهِ في النفوس وتلك هي الفائدة التي يبتغيها لنفسهِ الدين . ولكن هذا الوهم ليس الاَّ سرابًا يغر الانظار والحقيقة التي لا مرية فيها والتي يرشد اليها البحث والعقل ان في النداء بالدين اليوم وهو كما هو من الانحراف عن صورتهِ الاصلية خطرًا عليهِ لا يبعد اذا لم نتداركهُ ان ينتهي بانحلالهِ وضياع اهلهِ في قليل من السنين

كلنا نعرف بان الدين كما هو اليوم قد غيَّرت صورتهُ الاصلية وتلبست بهِ عادات سخيفة اصبحت معها حقيقتهُ ضائعة كل الضياع بحيث يعسر ان يردَّ كثير من احكامهِ المتداولة الى اصل صحيح فيهِ . وما بغريب ان يكون كذلك فان دينًا يجري بهِ اهلهُ على مثل ما جرى اسلافنا من التطرُّف وسوء الفهم قرونًا عديدة يتعذر ان لا تمسخ عقائدهُ او ان تبقى ثابتة غير محرَّفة او مقلوبة . ولعلَّ الذين أشربوا حبًّا اعمى وتشيعًا كاذبًا للدين ينكرون ذلك فلكمتي اليهم ان ينزعوا برهةً من صدورهم بعض ما بها من التشيع ويمعنوا انظارهم في من نسميهم حملة الدين وعقلهُ في اشخاصهم عساهم اذا فعلوا ذلك ان تزول غشاوة التشيع عن ابصارهم فيقفوا على الحقيقة

من هم اولئك الحملة وفي مَن تُجسم صورة الدين ؟ افي طلبة بعض مدارسنا وهم لم يقبلوا علوم الجغرافيا والرياضة والتاريخ الاَّ بعد اللتيا والتي ؟ ام في العلماء واكثر من نعلم منهم من اذا جاء من الصلاة ميعادها بسمل وحوقل وتوضأ وقام وركع وسجد ثم اذا خرج عن ذلك كلهِ وجدتهُ العابد للدرهم القليل العلم الضعيف العقل المغلوب على امرهِ المدخول عليهِ حتى في دينهِ؟ ام في طائفة الفقهاء وهذه الامثال لا تضرب الاَّ بهم في كل خلة لا يتصف بها المميزون من الاطفال؟ ام في الامة نفسها وهي لا تعرف من الدين غير رفع الصوت والجهر بالصلاة والتسليم على النبي عند ذكر اسمهِ في كل مقال ؟ ام في غير هؤلاء وليس في البلاد من نعرف سواهم

اذا عرفت هذا وعرفت ان الامة الآن في الدور الاول من نهوضها فاي خطر على الدين اعظم من تنبه العقول اليهِ وهو كما هو يوم تشط الافهام وتهم النفوس مسترشدة بنور العلم الصحيح فتلتفت الى جانبها وترى الدين كما وصفناهُ وقد صار اكثرهُ مجموع عادات وتقاليد انتجها الفهم السيء والتغالي المضر الا تكون النتيجة الطبيعية ان تنفر منهُ العقول لاعتبارها اياهُ نقصًا وعيبًا بل حجر عثرة في سبيل التقدم واتساع الافهام

لدينا في التاريخ مثل من هذا القبيل لو اردنا لجعلناهُ عظة لنا نتعظ بها عسى ان ندرأ عنا الخطر الذي نحن عليهِ قادمون . هذه بلاد اوربا كان اهلها قبل العصر الذي يسمونهُ عصر النهضة والاصلاح مستمسكين بعرى الدين المسيحي متشيعين لكل ما يأتي من جانبهِ فما زالوا يتغالون و يتطرفون حتى انتهت بهم الحال الى حصر الدين برمتهِ في الكنيسة ولم تمض على ذلك سنوات حتى اصبحت الكنيسة صاحبة التصرُّف المطلق فيهم توجههم الى الحروب الصليبية فيعانون المشاق و يكابدون الاهوال و يهلكون الوفًا ومئات الوف حبًّا في الدين ثم تستأثر بالاموال فلا تجد منهم الاَّ ملبين خاضعين يقدمون اليها اموالهم باسم الغيرة على الدين . ثم تستولي على الكتاب المقدس وتحرم على غيرها فهمهُ وتفسيرهُ فيتلقون اوامرها بالرضى والطوع عملاً باوامر الدين . ثم تقف امام العلوم مخافة ان يكون فيها ما يخالف الدين . وما زالت على حالها تتشبث في كل يوم على الدين باسم الدين والناس لا يعرفون الاَّ كلمات تسمى الدين يتفانون في جهاد الغيرة عليها حتى اخذ شعاع العلوم ينفذ الى الاذهان وابتدأ دور النهضة فقام القسوس وقعدوا آخذين بتلابيب الامة باسرها ينادونها الدين الدين اطلبي الكمال والرقي والنهضة من جانب الدين . وظلوا يصدعون آذانها بهذا النداء حتى تنبهت العقول ونظرت الى الدين كما صوَّروهُ لها فنبذهُ البعض وضعفت سلطتهُ عن البعض الآخر

وها نحن اليوم نرشك ان نضع في ديننا كما صنعت بدينها اوربا من قبل . نعرف يقيناً ان ديننا قد تلبس بعادات وتقاليد سخيفة الصقتها بهِ القرون الغابرة وان ليس فينا من يثلمهُ حق تمثيلهِ ثم تجدنا تكاد اصواتنا تبح من النداء بهِ وطلب الاسترشاد بقواعدهِ نريد بذلك ان نجعل حياتنا ونحن الآن في القرن العشرين قرن العلم والعمل والمزاحمة وقفًا على استخراج الحقائق من بطون مؤلفات عتيقة ابلاها الدهر وابلى انكار ذويها ثم تقليد بعض السلف من اجدادنا في افعال ان هي ناسبت عصورهم فمحال ان تناسب العصر الذي نحن فيهِ

مضت ازمان طويلة تعبت فيها ألسنتنا من كثرة الحث على اتباع الدين واعتبارهِ كافلاً برقينا وسعادتنا فمن منا اجاب هذا الحث وايُّنا التفت اليهِ وقام يعلِّم الناس كيف تنفع النصيحة وتثمر العمل الصالح ؟ لعلنا لكثرة ما استولى على عقولنا وافهامنا من الذهول ثم لشدة ما أُلقي على ابصارنا من الغشاوات لم نعد ندرك ونرى ان كثيرًا منا اغلبهم المتربون والمتعلمون الذين لهم المستقبل وعليهم الاعتماد قد بدأت تعتريهم الشكوك والوساوس واخذت الظنون الكثيرة ترد على افهامهم حتى اذا حاولوا ان يطردوها لم يزدها ذلك الاَّ تغلبًا على مدركاتهم وتأصلاً في اذهانهم ؟ نعم لقد ذهلنا حتى لم نشعر بما يجري حوالينا وغرَّتنا الاكاذيب والترهات فظننا

أن في النداء بالدين وهو كما هو احياء لهُ وبثًّا لقواعدهِ الصحيحة فما زلنا قائمين على هذا النداء حتى اصبحنا الان فاذا النتيجة معكوسة واذا نحن لاهون لانعرف الخطر الذي نحن عليهِ قادمون

ألا فلنعرف ولو ساءتنا هذه المعرفة اننا بجهلنا الاعمى وتشيعنا الكاذب قد اوصلنا الدين اليوم الى حال ان استمرَّت ولم نقف في طريقها ادَّت ولا محالة الى زوالهِ . لنعرف ذلك ولنفقه جيدًا انهُ وان لم يبدُ لذلك اثر ظاهر للآن فما هو الاَّ لان حرب التنازع بين الاعتقاد الموروث والشكوك العارضة لا تزال في بدايتها وليس ينتظر من شكوك حادثة ان تفوز على اعتقاد موروث الاَّ بعد جهاد طويل فالعقول الآن تتسرَّب اليها الشكوك وتأخذها الريب فتجاهد لردها وهي كلما ردَّت منها واحدة جاءت واحدة فلا تزال كذلك حتى يمسها التعب وينالها الكلال فلا تجد مخلصًا منها الاَّ ان تتركها وتترك البحث فيها راضية بالتسليم للدين ظاهرًا تبعًا لحكم الوراثة . ولئن بقينا على تلك الحال زمنًا ليأتينَّ يوم يمحي فيهِ اثر الوراثة وتقوى الالسنة على ترديد ما يختلج في الضمائر فينادي فينا جهارًا بان الدين امسى ممتزجًا بالشوائب فيجب ان ينبذ ولتجدنَّ اكثرنا يومئذٍ سامعين مصدقين

لا يقولنَّ مندفع الى اريد بهذا ان يُترَك الدين جانبًا فعاذ الله ثم معاذ الله ان اريد ذلك او ان يخطر على فكري شيءٌ منهُ . انما اريد ان يلبس الدين بيننا ثوبهُ الحقيقي ذلك الثوب الابيض الطاهر الذي تنظرهُ الابصار فيعجبها جمالهُ وتسرها حقيقتهُ . اريد ان ترمى تلك التقاليد والعادات الموروثة التي تلبست بالدين بعيدًا ليعود خاليًا من الشوائب يتَّسع المجال فيهِ للفهم السليم والنظر الصحيح . اريد ان تحفظ للدين كرامتهُ فلا يجعل هدفًا لكل متشدق مغرور يتجر بالمناداة بهِ على جهل ولغير داعٍ . اريد ان تحمى من بيننا آثار التغالي والتشيع فنعلم ان القرآن لم ينزل الاَّ بقواعد عامة للناس جميعًا فلنا ولكل امة ان تتصرف في مدلولاتها بما يناسب الزمان والمكان دون تقييد او حجر على الافهام الاَّ ما يخرج عن الدين . اريد ان لا يؤتى بكلمة الدين امام العلم ليقال ان آية او حديثًا يعارض معناها شيئًا من العلم فان الدين لم ينزل ليعلّم الناس العلم او لينافي العقل في شيءٍ حتى يعارضهما ولو في بعض الاحايين . اريد اخيرًا ان لا نكثر من الصياح باسم الدين حتى لا تلتفت العقول الناشئة اليهِ قبل ان يظهر في ثوبهِ الحقيقي لئلا تنفر منهُ ونكون قد جنينا من حيث طلبنا الفائدة

هذا هو كل ما اريدهُ نشرتهُ لتطلع عليهِ الامة عسى ان تلتفت اليهِ وتنظر فيهِ فتعلم انها موشكة ان تقدم على خطر لا ينجيها منهُ الاَّ شدة الاحتراس والحذر . ولعلي لا اعدم من يسفهون رأيي وينعاملون للامة ودينها بالخير من وراء الحركة الحالية اخذًا بظاهر قولهِ تعالى

« انا نزلنا الذكر وانا لهُ لحافظون » فكلتي الى هؤلاء ان يضع الله في آجالهم مئة عام لينظروا باعينهم ماذا يكون يومئذٍ من امر الدين اذا نحن لم ندرأ الخطر . والله اسأل ان يوفقنا الى اقوم طريق

عبد القادر حمزه
المحامي

الاسكندرية

العلم في العام الماضي

الانثروبولوجيا او علم الانسان — لم يتقدَّم كثيرًا في غضون العام الماضي ولكن كان خطبة الاستاذ كارل بيرسن التي خطبها تذكارًا للاستاذ هكسلي شان كبير لانهُ بحث فيها عن وراثة الصفات العقلية والادبية . واتجهت افكار علماء هذا الفن الى البحث المدقق في احوال اهالي جزائر البحر قبل انقراضهم . واكتشف المستر بيدنل كثيرًا من قطع الظران في صحراء الفيوم حول موقع بحيرة قديمة ترجح منها وجود الناس في القطر المصري في العصر الحجري القديم (بليوليثك) لكن بعض العلماء ينفون ذلك

الفلك — اهمُّ ما حدث في العام الماضي ازدياد الاضطراب في الشمس وظهور الكلف الكبيرة فيها كما وصفنا ذلك بالاسهاب في الجزء الاخير من السنة الماضية ويقول الاستاذ نيوكم ان معظم هذه الكلف سيكون في الشهرين الاخيرين من هذا العام اي في نوفمبر او دسمبر

والابحاث الجديدة في نور الزهرة تؤيد ما قيل قبلاً من انها تدور على نفسها مرةً كل ٢٢٥ يومًا . وارتأى اثنان من العلماء ان الخطوط التي ترى على وجه المريخ خطأٌ في العين فانهُ اذا وجدت نقط منفصلة على سطح ونُظر اليهِ عن بُعد رأت العين خطوطًا تصل بين تلك النقط واثبتا ذلك بالامتحان . ورئيت بقع كبيرة منتشرة على الجانب القطبي الشمالي من زُحل وظهر انها تدور معهُ دورة كاملة كل عشر ساعات و٣٨ دقيقة مع ان زُحل يدور على محورهِ مرة كل عشر ساعات و١٥ دقيقة بحساب الاستاذ هول . وبلغ عدد النجيمات المكشوفة حتى آخر السنة بين المريخ والمشتري ٥٩٠ نجيمة وقد وجد المسيو كالندرو ان اهليلجيَّة النجيمات البعيدة عن الشمس اكثر من اهليلجيَّة النجيمات القريبة منها . واكتشف الاستاذ جياكوبيني مذنَّبًا في الخامس من شهر يناير قرُب بَعْد ذلك حتى صار يرى بالعين . واكتُشف مذنب آخر في زيلندا الجديدة في ٢١ يونيو اقترب في يوليو حتى صار يرى بالعين ايضًا وكان لهُ نواة واذناب كثيرة طال احدها حتى بلغ طولهُ ثماني درجات ونصف درجة . وحقق المسيو بروتين سرعة النور ١٨٩٢٢٥ ميلاً

ونصف ميل في الثانية والدكتور تشندلر بُعْد الشمس عن الارض ٩٣١٠٧٠٠٠ ميل والاستاذ نيوكم ان نور المجرَّة مضاعف نور بقية نجوم السماء

البيولوجيا اي علم الحياة — اهتمَّ علماء البيولوجيا بالبحث عن الاحياء التي تسبب بعض الامراض ولا سيما مرض النوم المنتشر في قلب افريقية فوجدوا سببهُ جسماً حيًّا صغيرًا يكون في الدم ويتصل منهُ الى الاعصاب والموصل لهُ الى الانسان نوع معروف من الذباب ولم يوجد علاج حتى الآن يميت هذه الاحياء من جسم المصابين بها . واثبت الاستاذ مكفادين ان السوائل التي تكون في جسم الميكروب اذا حُقن بها حيوان مناسب تولَّد في جسمهِ مصل يقتل ذلك الميكروب وبقي من سمهِ ولم يثبت ذلك في كل الميكروبات بلْ في نوع منها ولا يبعد ان يكون هذا الامر عامًّا

الكيمياء — اهم الابحاث الكيماوية التي جرت في العام الماضي البحث في خصائص الراديوم وتولُّد الهاليوم منهُ وقد اشبعنا الكلام عليهِ ولم نفعل الاَّ بعض الامور الكيماوية التي يتعذَّر فهمها على جمهور القرَّاء كفعلهِ في حل اليودوفورم . اما ما قيل عن فعلهِ في شفاء السرطان فلم يزل في حيز الامتحان . ولا يعلم ما يكون من امرهِ متى امكن استحضار مقدار كبير منهُ فقد قال الاستاذ رذرفرد انهُ اذا وضع سنتمتر مكعب منهُ في انبوب من الزجاج احماهُ الى درجة الحمرة بالحرارة المتولدة منهُ او صهرهُ صهرًا . ووجدت منهُ اشعة تخرق لوحًا من الحديد سمكهُ قدم وتنير ستارًا موضوعًا امامهُ كما تنيرهُ اشعة رنتجين ومما يذكر في هذا الباب ان وسام الكيمياء المعروف بوسام السر همفري دافي اعطي لمدام كوري وزوجها لاكتشافهما عنصر الراديوم وهذه اول مرة اعطي فيها هذا الوسام لامرأة واعطيت جائزة نوبل للاستاذ ارهنيوس صاحب المذهب الذي شرحناهُ سنة ١٩٠٣ . وقال المسيو بلندلو انهُ اكتشف اشعة سمَّاها اشعة N ادَّعى لها افعالاً غريبة ثم ظهر انها اشعة الحرارة العادية والافعال المنسوبة اليها انما تحدثها الحرارة

الكهربائية — كان البحث في الكهربائية يحسب فرعًا من الطبيعيات كالبحث في النور والحرارة اما الآن فقد اتسع نطاقهُ جدًّا حتى صار علمًا قائمًا برأسهِ وصار اوسع من البحث في كل المواضيع الداخلة في علم الطبيعة . وقد كان للكهربائية شأن كبير في العام الماضي اذ حاول بعض العلماء تعليل خواص المادة بخواص الكهربائية اي حسبان المواد كلها مؤلفة من ذرات كهربائية وقد نشرنا خطبة في ذلك للسر اوليفر لدج جعلنا موضوعها المادَّة واحدث المذاهب فيها . واستخدم السر اوليفر لدج الكهربائية لتبديد الضباب الذي يكتنف مدينة لندن فنجح في ذلك بعض النجاح

وسار تلغراف مركوني في سبيل النجاح وشاع تلغراف ده فورست الاميركي وهو مثل تلغراف مركوني. وعقد مؤتمر في برلين في شهر اغسطس بطلب امبراطور المانيا حضرهُ مندوبون من بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا والنمسا واسبانيا والولايات المتحدة وقرَّ اعضاؤهُ على ان مراكز التلغراف الذي لا سلك لهُ سواء كان من نوع مركوني او ده فورست او غيرهما اذا وصلتها رسالة كهربائية من سفينة في البحر وجب عليها ان تقتبلها وترسلها الى حيث يراد ارسالها كانها رسالة تلغرافية عادية

وجرَّب الالمانيون الكهربائية لسير القاطرات بسرعة شديدة. فبلغت سرعة قطراتهم الكهربائية ١٣١ ميلاً في الساعة. وختمت السنة وحكومة بروسيا تنظر في مشروع لسير القطرات بهذه السرعة بين برلين وهمبرغ

الجغرافيا — اتجهت همَّة الاوربيين منذ زمن الى اكتشاف الاصقاع الجنوبية التي تحيط بالقطب الجنوبي وكان هناك اربع رسالات في العام الماضي رسالة المانية ورسالة اسوجية ورسالة اسكتلندية ورسالة بريطانية فوجعت الثلاث الاولى وبقيت الرابعة فارسلت سفينة المورنج (الصباح) لمعونتها فوجدت سفينتها واسمها دسكفري (الاكتشاف) مقيَّدة بالجليد لا تستطيع حراكاً ولم تستطع سفينة المورنج ان تدنو منها الى اقرب من عشرة اميال لسمك الجليد الذي حولها

وابعد ما بلغهُ المكتشفون الدرجة ٨٣ والدقيقة ١٧ من العرض الجنوبي فيبقى بينهم وبين القطب نحو ثماني درجات ووجد عند الدرجة ٨٠ سلسلة جبال ارتفاع بعضها ٩٠٠٠ قدم. والبرد شديد جداً في تلك الاصقاع فتبلغ درجتهُ ٥٧ تحت الصفر

والسفينة التي ذهبت فيها الرسالة الاسوجية اطبق عليها الجليد فكسَّرها وارسلت حكومة ارجنتين سفينة انقذت الذين كانوا فيها واوصلتهم الى بونس ايرس في شهر اكتوبر الماضي. وعادت الرسالة الالمانية سالمةً غانمةً ولكنها لم توغل مثل غيرها جنوباً. واستمرَّ البحث في الاصقاع الشمالية ولكن لم تكتشف فيها اكتشافات مهمة

وعاد الماجور بول كتن من افريقية بعد ان قضى عشرين شهراً في قلبها وظفر بالزرافة ذات القرون الخمسة وقد ذكرنا خلاصة ما لقيهُ فيها في جزء اكتوبر الماضي في الكلام على هذه الزرافة. واكتشف غيرهُ من السياح والرواد ستة قبائل جديدة لم تكن معروفة من قبل

وسارت رسالتان الى بلاد التبت في اسيا وصحت ٣٨ الف ميل من الاراضي التي لم تمسح قبلاً واكتشفت فيها بحيرات لم تكن معروفة من قبل منها بحيرة مساحتها سبعون ميلاً

الجيولوجيا -- وجد في كهوف قبرص عظام نوع صغير من فرس النهر ليس اكبر من الخنزير. ووجد فيل كبير مطمور بالثلج في يكوتسك بسيبريا سنة ١٩٠٢ فاتي بهِ في العام الماضي الى دار التحف في بطرس برج وقد وجد سليماً وفمهُ مملوء نباتاً والظاهر انهُ كان يرعى على جرف هارٍ فسقط بهِ الى وادٍ عميق طمرهُ الثلج فيهِ واماتهُ وحفظهُ من البلى هذه السنين الكثيرة الى ان وجد الآن . واهم المباحث الجيولوجية كان في القطر المصري وقد وصفناهُ في حينهِ

الامير بشير الشهابي

اتضح مما في الجزئين السابقين ان الامير بشيرًا لم يكن مستقلاً في ولاية لبنان بل كان لوالي عكاء السلطة المطلقة عليهِ يوليهِ ويعزلهُ كيف شاء وان تكن الدولة قد صرّحت لهُ بعض الاحيان انهُ مستقلٌ في الولاية التي كانت للامير فخر الدين المعني . ولو شاء الاستقلال ما تعذّر عليهِ لانهُ مما يميل اليهِ اللبنانيون بالفطرة كما يميل اليهِ سائر اهالي الجبال وقد اعربوا عن ذلك مرارًا واشترطوا عليهِ مرةً انهم يقبلونهُ والياً عليهم بشرط ان لا تكون ولايتهُ من الدولة . اما هو فكان على رفعة قدرهِ وعلو همتهِ يقف امام ولاة الدولة كاصغر الصعاليك ويخاطبهم مخاطبة العبد لمولاهُ وهم يخاطبونهُ مخاطبة السيد لعبدهِ الاَّ اذا ارادوا ان يتملقوهُ للاستعانة بهِ على قتال او لاستخدامهِ في ابتزاز اموال الرعية فانهم كانوا يخاطبونهُ حينئذٍ بشيء من التبجيل ويكرمونهُ اذا اقبل اليهم . وكان سليمان باشا اليهم عريكة من هذا القبيل فتوفي سنة ١٨١٩ وطلب الولاية بعدهُ عبد الله باشا بن علي باشا الخزندار فبعثت اليهِ الدولة بفرمان الولاية وحضر منهُ كتاب الى الامير بشير يخبرهُ فيهِ بان الولاية آلت اليهِ ويامرهُ بان يبادر ويحتفل بث هذه البشرى في انحاء الجبل . ففعل الامير كما امرهُ عبد الله باشا وبعث اليهِ بالهدايا من الخيول المطهمة والسروج المذهبة فاجابهُ بارسال خلعة الولاية اليهِ وارسل منشورًا الى اهالي لبنان رأينا ان نثبت صورتهُ هنا كما وردت في تاريخ الامير حيدر الشهابي لانها مثال لما كان يرد من نوعها مما تجود بهِ قريحة الكتّاب ولو خالف الواقع وهي

"صدر المرسوم المطاع . الواجب القبول والاتباع . الى افتخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الفخام ذي القدر والاحترام ولدنا الامير بشير الشهابي دام مجدهُ على الدوام . والى الامراء والمتقدمين والمشايخ وشيوخ العقل والعقال وارباب الكلام والمباشرين والوجوه والرعايا في جبل الشوف وكسروان وتوابعها على وجه العموم ليعلموا انهُ غير خاف عليكم التكريم الرباني والامداد

الصمداني بفيض مراحم حضرة مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين ولي نعم العالم . معدن الراحة لبني آدم . ظل الله على العالمين خلد الله سرير سلطنته على مدى الايام والسنين . وانعطافه علينا برتبة الوزراء السامية وتوجيه ايالة صيداء وطرابلس الشام وقيادة المحمل الشريف ومحصلية لاذقية العرب ولواء غزة هاشم والرملة ويافا واللد وجميع الاملاك التي كانت لسالفنا المرحوم المبرور المغفور لهُ الحاج سليمان باشا طاب ثراهُ مع الانعام علينا بكامل متخلفاته ومتروكاته . فسبحان الله تعالى شكرًا على هذه المنة العظيمة والموهبة الجسيمة . وبسطنا اكف التضرع والابتهال . الى حضرة الملك ذي الجلال بدوام دولته الزاهرة . وتأييد صولته الفاخرة على ممر الايام والليال . وعلى الله الاجابة والقبول فانهُ خير مسؤول . واكرم مامول . والآن قد قررنا وابقينا التزام جبل الشوف وكسروان وما يليهما على الامير الموى اليهِ لاستقامته ونجابته وكفايته ودرايته فليكن ذلك معلومًا عندكم وتكونوا تحت طاعته وتوردوا عن يدهِ الاموال الاميرية . والمطالب السلطانية . وتتماطوا اشغالكم واعمالكم آمنين مطمأنين وتواظبوا على بذل الادعية الخيرية لحضرة مولانا السلطان نصرهُ العزيز الرحمن . وتخبر الامير الموى اليهِ انهُ يجب عليك الاهتمام براحة العباد . وعمار البلاد والاجتهاد في حسن الضبط والربط . واقامة العدل والانصاف . وابطال الجور والاسراف . وليكن كل ما تأمر بهِ وتتصرف فيهِ مطابقًا للشرع الشريف . وموافقًا للقانون المألوف من كل تالد وطريف . والآن لاجل رفع شانك على اقرانك قد ارسلنا اليك خلعة فاخرة من ملابسنا عن يد المختار الاماجد والاعيان خزندارنا حالاً محمد آغا زيد مجدهُ . نيقتضي ان تبادر الى ملتقاها وتسربل بها . وتتلو مرسومنا هذا علنًا على رؤوس الاشهاد . وان شاء الله تكون هذه السنة ابرك السنين على جميع العباد . والجميع لا يشاهدون منا الا كل ما يسر الخاطر ويقر الناظر . وبناء على ذلك قد اصدرنا اليكم مرسومنا هذا من ديوان محروسة دار الجهاد فاقرأوهُ واعتمدوهُ غاية الاعتماد"

ويقال انهُ لما حضرت الخلعة الى الامير بشير التقاها مسافة غلوة كما جرت العادة وتسربل بها . ولعلها كانت جبةً لا تساوي دينارين والذي بعث بها اليهِ لم يكن امنع منهُ جانبًا ولا اقوى صولةً ولكن السيادة فطرية في الترك وهم اقدر من العرب على استعمالها

ومن الذين هنأوا الامير بشير بخلعة الولاية هذه ولدهُ الامير امين فقال من قصيدة حسناء

ألا ايها المولى الذي بفعاله غدا ثغرُ هذا الدهر باهي التبسم
سليلك يهديك التهاني بخلعة تميس بدلِّ الناعم المتنعم
جليلة قدر ذات عزٍّ وبهجة مقلدة عقدي جمالٍ ومغنم

تزيد افتخاراً سيفي لقائك ورفعةً وتهتزُّ شوقاً هزة المترنم

ولم تمضِ سنة على وصول الخلعة حتى وصل امر من عبد الله باشا بطلب مبلغ طائل من المال فأسقط في يد الامر وارسل بطرس كرامة الى عكاء يتوسل اليهِ حتى يعفيهُ من ذلك او يمهلهُ الى ان يتيسر لهُ جمع المال المطلوب . فغضب عبد الله باشا وصرف بطرس كرامة وامر بارسال الجنود الى حدود البلاد من الارناووط والدلاتية والهوارة وهي اسماء تهلع لها قلوب اللبنانيين لما كان يأتيهِ اولئك الطغام من الكبائر . وامر بالقبض على كل من يوجد في بيروت وصيداء من اهالي لبنان وباغلاق ابواب المدن في وجوه اللبنانيين . فارتاع اهالي البلاد من ذلك وعظم الامر على الامير بشير فاعاد بطرس كرامة الى عكاء واعدَّ عبد الله باشا بتأدية المال المطلوب وكتب لهُ صكًّا بالف الف درهم يدفعها في شهرين وهي عشرة آلاف جنيه ولكنها بمثابة مئة الف جنيه الآن او اكثر لان ثمن اقة الحرير كان حينئذٍ عشرين غرشاً او ثلاثين . واضطرَّ ان يقترض المال من التجار واقترض من الشيخ بشير جنبلاط ميتين وخمسين الف درهم . ولم يكد يتم ارسال هذا المال حتى جاءهُ كتاب من عبد الله باشا يقول فيهِ انهُ اهدى الى رجال الدولة كل ما كان عندهُ من التحف المجهورة ولم يبقَ عندهُ ما يليق اهداؤهُ وانهُ اتخذهُ كبعض اهل بيتهِ ولذلك فهو يطلب منهُ خنجرين مجهورين أهديا اليهِ واحداً منهُ وواحداً من سليمان باشا فارسلها اليهِ حالاً . وما مضى على ذلك ايام يسيرة حتى ورد منهُ كتاب آخر يطلب فيهِ خمسين الف ربع دينار فندقلي نفقة جيب لهُ . فطلب الامير هذا المال من اهالي البلاد فاجتمع زعماؤهم وتحالفوا على ان لا يؤدوا الاَّ المال المقرر ولا يؤدوهُ الاَّ في ميعادهِ ولا يؤدوا درهماً من تلك الزيادات وكتبوا الى عبد الله باشا ان الامير ظلمهم وارهقهم بمطالبهِ الكثيرة والتمسوا منهُ ان يبقوا على عوائدهم القديمة . فاجابهم الى ما طلبوا وامرهم ان لا يرضخوا لامرهم

الدولة تلح على ولاة الايالات في طلب المال والولاة يلحون على حكام الاقاليم وهؤلاء يطلبون المال من الاهالي فيأمرهم الولاة ان لا يدفعوا . كذلك تكون السياسة القويمة

فلما رأى الامير بشير ان والي عكاء يلحّ في طلب المال ويحرض اهل البلاد على عدم دفعهِ عزم على ترك الولاية وكتب الى عبدالله باشا بذلك وقام باولادهِ واعوانهِ وسار طالباً بلاد حوران وانشد بطرس كرامة في ذلك

رحلنا وخلّينا المنازل بعدنا تثير بكفٍ ابيض وبنان

ابينا احتمال الذل او نهلك الورى فقمنا وخلّينا بغير طعان

ولكن اجتمع اليهِ قبل خروجهِ من الجبل الامراء اللمعيون ووجوه البلاد وتحالفوا انهم لا يقبلون حاكماً عليهم غيرهُ. وكان في البلاد حزب ناقم عليهِ وراغب في الولاية ولدُ زعيمان من آل شهاب الامير حسن والامير سلمان فكتب هذا الحزب يلتمس الولاية لهما

وسرَّ عبدالله باشا بخروج الامير بشير من لبنان لانهُ كان يعلم ان الجزار قضى عمرهُ وهو يحاول خلعهُ من الولاية فلم يستطع. وارسل خلعتي الولاية الى الامير حسن والامير سلمان الاَّ انهما لم يستطيعا القيام بها. وكتب الامير بشير وهو في جهات حوران الى عبدالله باشا يسترضيهِ فاجابهُ انهُ راضٍ عنهُ وحالما تبدر بادرة من الامرين يعزلهما ويعيدهُ الى الولاية

واضطرمت نار الحرب حينئذٍ بين الدولة العثمانية والروس ودعت الحال الى حفظ الثغور فكتب عبدالله باشا يستدعي الامير بشيراً اليهِ واسر الحكام الذين يمر بهم في طريقهِ ان يكرمهُ ولعلهُ اراد ان يهدد الامرين بهِ لانهُ لما وصل الى عكاء كان المشايخ رسل الامرين فيها فرغبهم عبدالله باشا ان يتعهدوا لهُ بالف الف درهم ومئة الف درهم على عجل فتعهدوا بذلك وكتبوا على انفسهم صكاً بهِ لكن الامرين عجزا عن جمع هذا المال ورضيا ان يتنازلا عن الولاية ويتركا اختيار الوالي لاهل البلاد فحضر الامير بشير الى دير القمر واجتمع اكثر الزعماء من امراء ومشايخ واعيان وتوافقوا وتواثقوا وكتبوا عهداً بينهم انهم يكونون يداً واحدة في مصلحة البلاد والذي تختارهُ اهالي البلاد حاكماً من بني شهاب يقبلونهُ حاكماً عليهم ويطيعونهُ ويؤدون الاموال السلطانية اليهِ وحينئذٍ طلب الاميران من الامير بشير ان يكون هو الحاكم فابى محتجاً بانهُ يريد الراحة من متاعب الولاية وسألهما ان يبقيا فيها. وتدل القرائن على انهُ خاف ان يطالبهُ عبدالله باشا بما تعهدا بهِ من المال. وطلب عبدالله باشا المال من الامرين فاعتذرا بان البلاد خرجت عن طاعتهما لوجود الامير فيها ورأى عبدالله باشا ان ليس للولاية خيراً من الامير بشير فاعاد الولاية اليهِ وكتب اليهِ انهُ يبقى الولاية لهُ ما بقي حيّاً. واخلص عبد الله باشا الوداد للامير بعد ذلك واستعان بهِ على قمع جنود درويش باشا والي دمشق فابلى اللبنانيون بلاءً حسناً وانشد بطرس كرامه يهنئهُ الامير بظفرهِ فقال

سلِ الخطيَّ والبيض الصقالا فهنَّ عن الرجال كشفن حالا
وسلْ كوم النزال غزاة حرب بوادي التيم تشتعل اشتعالا
ويوماً اقبلت رايات قيس يقدن الخيل تعترك الجمالا
بشبان يرون الموت عزّاً وشيب طالما اقتحموا النزالا
ونصر الله صاحبها يميناً وآسيهِ العز قارنها شمالا

تحوط بهِ الكماة على عتاق مضمرة يسابقن الخيالا
لديهم من سراة الشوف اسد اذا ثبتوا حسبتهم الجبالا

ولكن درويش باشا رفع شكواهُ الى الباب العالي على عبد الله باشا مدَّعيًا انهُ منع اهالي نابلس عن تأدية الاموال المرتبة عليهم لاجل قيام الحج فامرت الدولة مصطفى باشا والي حلب ان يقوم الى دمشق و يعاون درويش باشا على عبد الله باشا فاضطر الامير بشير ان يغادر البلاد و يهاجر الى الديار المصرية كما سيجيء

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا لهممهم وتشحيذًا للاذهان ، ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوَّلة

ردٌّ على ردّ وانتقاد

وقفتُ على ما ادرجهُ الاديبان باحث مستفيد ومحمد رشيد افندي ردًّا وانتقادًا عليَّ في مقالتي منزلة الشعر من التاريخ فاجبت

ان الاديب (باحث مستفيد) قد اوردتُ لهُ حججًا قاطعة توجب عليهِ خلع نقاب الخفي محياهُ فلا دفع حجة بحجة ولا قام بما اوجبت عليهِ الحجة وهذا سبيل لم ارَهُ لاحدٍ من ارباب المناظرة ولهُ الفضل ان اثبت جوازهُ في آداب البحث

ثم تكلم عن منزلة مقالتي وهذا كلام لا يُوجَّه اليَّ بل الى اصحاب الصحف واخدان الادب الذين اثنوا عليها ورحَّبوا بها فان رأى مؤاخذتي بانها حلَّت لديهم محلًا كريمًا فما اولاني بان اقرَّ بصدق مدعاهُ

وليعلم ان كثيرًا من معارفي يدَّعون انَّ نقابهُ الوهمي انما هو مرخىً على محيَّاي وانني اكتب ما اكتب تحت هذا النقاب تشويقًا للخواطر تنويهًا بفضل مقالتي فان خفت معهُ غمار البحث

الذي يريده كانت دعواهم اقرب الى التصديق وهو ما لا يريده حضرته كما ظنّ

ثم عاب استخدامي المنطق في علم التاريخ ولم يبالِ بان التاريخ علم يراد به سرد حقائق فتعابيره من باب الدلالة الوضعية والدلالة الوضعية مبحث علم المنطق . اذن قد طرقتُ البحث من بابهِ كما انهُ لم يرَ انني اجبتهُ على كلامهِ باعتبار دلالتيهِ الوضعية والعقلية فهل يرى استقصاء مناحي كلامهِ مأخذاً عليَّ

ثم تنصَّل في مبحث التعامل بالحجرين الكريين من الكلام في العمران الى الكلام في الدول فهل يتكرم عليَّ بماذا يدعو هذا التنصُّل وهل هو جائز في المباظرات التي يراد بها تحقيق الحقائق

ومقالتا الفاضل جرجي افندي ينني في العرب قبل التاريخ لا تعارضان مع ما اوردتهُ . فان كان يرى غير ذلك فعليهِ ان يؤيد دعواهُ بالادلة

اما الاديب (محمد رشيد افندي) فقد ادار عليَّ سلافةً وخلاً فليتهُ اعفاني من سلافتهِ وخلهِ واقتصر على مجرد بيان ما عندهُ من القحطنة . وقد ذهب في قول حسان

تظلُّ جيادنا متمطرات تلطمهنَّ بالخمر النساء

الى ان الجياد كانت مسرعة اشدَّ اسراع بينما كانت النساء تنفض الغبار عنها . فليتكرَّم باقامة دليل على ان هذا الكلام ينطبق على صورة واقعية ليكون تخريجهُ مقبولاً . وقال عن حسان " وكان شاعر الاسلام والخمر عندهم حرام يومئذٍ بحجة الاستعمال " فكيف يوفق بين هذا القول وغزل هذه القصيدة التي منها

كأنَّ سبيئة في بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الاشربات ذكرن يوماً فهنَّ لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة ان ألمنا اذا ما كان مغث او لحاء[1]
ونشربها فتتركنا ملوكاً واسدًا لا ينهنهنا لقاء

وليعلم ان الاديب يعمل بمبلغ علمهِ وطاقتهِ ولا يدَّعي عصمة ولا يترفع عن الاقرار بخطاء صدر منهُ . ولا اعلم من اين جاز لهُ الحكم بخلو مقالتي من ابحاثٍ وهي لم تزل تنشر فقرًا متلاحقة

المدرسة البطريركية في دير البلمند (لبنان) امين ظاهر خير الله

(١) اي نصرف الملامة اليها ان اتينا بما تلام عليهِ كالمغث اي الضرب باليد وكاللحاء اي المشاتمة

البحر والسماء

على السماء وفوق الشمس اشعاري ... وتحت اصداف هذا اللج افكاري
وبين تلك وهاتا قد جرى قلمي ... بعجز الوصف من درٍّ وانوارِ
أرى جمالاً تعالى أن أُلِمَّ بهِ ... وجلَّ خالقهُ من مبدعٍ باري
كأنما الكون عيدانٌ محجبة ... تطلُّ مشرفةً من خلف استارِ
فالبحر مقلتها والبرُّ حاجبها ... من فوقهِ جبهة زينتْ بأقمارِ
او كان ذا البحر ديباج السما وقد اذ ... حلَّ الوشاح فها صدر السما عاري
او هذه لبست من ليلها حللاً ... ومن كواكبها زُرَّت بأزرارِ
او ظنَّت الشمس عجباً أنها خطفت ... بالحسن ابصارَ قوم دون أبصارِ
وخالت الأرض دارًا للسما فلذا ... أقامت البحر مرآةً بذي الدارِ
يا مكنَ الشهب الزهراء كم عجب ... بمعدن الدرر الغرا واسرارِ
إن تحلي فلكًا قد دار دائرهُ ... فدونكِ اللجَّ دوَّار بدوَّارِ
كلاكما حسنٌ والحسن بينكما ... كالروض يأرج من اشتات ازهارِ
اني ارى الشمس تحت البحر مطفأةً ... كذلك الماء ذو بأس على النارِ
كأنما هو كفُّ الأرض قد بسطت ... الى السماء فجادتها (بدينارِ)
أو غاصت الشمس تحت اللج هاربةً ... مما على الناس من همٍّ واكدارِ
ألستَ تبصرها صفراء جازعةً ... وقد خبا زند تلك الشعلة الواري
تشبهَ الناسُ طهرًا بالملائكهِ من ... خبث الضمير وكانوا غير أبرارِ
والبحر أفقههُ من افكهم وكذا ... لا تحمل الأرضُ الاَّ كلَّ غرَّارِ
لو انصفوا لرأوهُ في تلججهِ ... على البسيطة كالمستأسد الضاري
لكنَّ من ألف الانغام مسمعهُ ... يخالُ كل زئير نفخ مزمارِ
ما للغضمِّ اراهُ كاشرًا فزعًا ... يخدِّش الارض من لجٍّ بأظفارِ
مجرَّدًا في تدجيهِ صفيحتهُ ... مستوفزًا بين بتَّارٍ وبتَّارِ
يقيمهُ الموج حزدًا ثم يقعدهُ ... ما بين منسحب منهُ وجرَّارِ
والافق مكتئب حينًا ومبتسمٌ ... ما بين ليلٍ دجوجيٍّ وأسحارِ
يا ايها الناس ان البحر موعظة ... وضجَّة البحر ليست غير إنذارِ
فكم عليكم بهِ لله من حجج ... والذنب يُغفر إلاَّ بعد إعذارِ

البحر ألين شيء ملمساً فاذا ... خاشنتموه بلؤم أيّ جبّار
ولو تعاون كل الخلق ما قدروا ... ان يحبسوا موجة من موجه الجاري
فكيف يجحد رب البحر قدرته ... وذلكم أثر من بعض آثار
آمنت بالله ما شيء أراه سدًى ... لكنها حِكَمٌ تجري بأقدار

مصطفى صادق الرافعي

اقتراح

اقترح على حضرتكم ان تخصصوا بابًا في مجلتكم لانتقاد الكتب المنتشرة بين ظهرانينا. ولو فحصتم الكتب المدرسية مثلاً التي تختارها "المعارف" لطلابها لوجدتم فيها كثيرًا لا ينطبق على روح التعليم الصحيح فاذا اظهرتم "للمعارف" خطاءها في اختيار الكتب للتدريس فيها واشرتم عليها باختيار ما يفوق كتبها في اسلوب الوضع والتأليف تخدمون بذلك الامة بل العلم خدمة تخلد لكم الذكر

كما اني ارجو حضراتكم ان تقرظوا وتنتقدوا الكتب الشهرية الجديدة باسهاب ووضوح وتأتوا لنا منها بفصل او بعض شذرات كما فعلتم في تقريظ "الخواطر العراب" لكي نكون على بينة من حقيقة الكتب التي يدّعي اصحابها بفوائدها والحال انها تضليل وتغرير بالعقول فلا نشتريها على غرة ونتعب ذاكرتنا في مطالعتها ونضيع اوقاتنا على غير جدوى

ناشد فريد

[المقتطف] اننا باذلون جهدنا في انتقاد كل كتاب يُعرَض علينا للانتقاد اذا وجدناهُ يستحق الانتقاد وعلمنا ان صاحبهُ يرضى بحكمنا ولا يفتح علينا جدالاً طويلاً عريضاً يضيع به الوقت سدًى. ومع ذلك يفوتنا انتقاد بعض الكتب اما لاننا نجد موضوعها خارجاً بالكلية عن موضوع المقتطف او لأن كثرة الاشغال تمنعنا عن النظر فيها بالامعان. اما الكتب المدرسية التي تشيرون اليها فلم تعرض علينا لانتقادها والراجح في ذهننا انها تختار بقرار لجنة من العلماء الراسخين في العلم ومع ذلك وقع نظرنا عرَضًا على كتابين منها فلم نستحسنهما وقد اشرنا اليهما في الكلام على الخواطر العراب. ويحتمل اننا ننظر في هذه الكتب مرةً ونشير الى ما فيها من العيوب لا من حيث الخطأ اللغوي الذي يفتش عنهُ البعض بل من حيث قصورها عن الغاية الموضوعة هي لها

باب الزراعة

المعرض الزراعي

نظرة عامة

فتح المعرض الزراعي بعد ظهر العاشر من فبراير وهو يمتاز على المعارض التي سبقتهُ من اوجه ويحط عنها من اخرى اخصها خلوهُ من البقر والجاموس نظرًا الى تفشي الطاعون البقري ومن بعض المصنوعات الاهلية كمصنوعات مصلحة السجون ومصنوعات معمل الخزف ونحوهما اما امتيازهُ فكان بسعة معارضهِ وحسن ترتيب معروضاتهِ وتعدد اصنافها وانواعها واجناسها وزيادة اتقان المعروض منها

فالحاصلات الزراعية فاق المعروض منها المعتاد حيث بلغت الف صنف من الحبوب ولم تبلغ غير ٤٠٠ صنف منها في السنة الماضية فالتقدم من هذا القبيل عظيم جدًّا وكذلك معروضات القطن فانها من خيرة ما رأيناهُ في المعارض السابقة حتى الآن وقد جمعت اصناف القطن الاربعة الجديدة التي تفوق في الجودة سائر الاصناف المعهودة وهي النوباري والكركي والعباسي المحسن واليانوفتش براون فنوجه انظار المزارعين اليها عساهم ان يجيدوا اقطانهم بتقاويها

وامتاز هذا المعرض ايضًا بما عرض فيهِ من المحاريث التي استوقفت الابصار فخص منها محراثين بخاريين ومحراثًا فرنسويًّا اما المحراثان البخاريان فاحدهما كبير ثقيل يثير التربة ويقلبها ويوقد فيهِ الفحم والحطب والآخر صغير خفيف وهو عبارة عن سكك (اسلحة) تعلق باوتوموبيل يسير بالبنزين وقد جُرب هذان المحراثان فحرثا الارض ببراعة من الناظرين واعجب حرثهما جمهور المزارعين الاَّ انهم لم يقنعوا بكونهما يصلحان لحرث التربة المصرية على اختلاف انواعها واحوالها لان التربة التي كانا يحرثان فيها رملية صفراء جافة غير شديدة التماسك . فيخشى ان الكبير الثقيل يغرز في التربة اذا كانت رطبة كما جرى فعلاً في اطيان حضرة الوجيه الخواجا انطون صباغ من كبار مزارعي الدقهلية . او انهُ يكسح التربة كسحًا اذا كانت رملية ناعمة كما يقال انهُ فعل في اطيان بمديرية المنيا . ويخشى ان المحراث الصغير الخفيف يعجز عن شق التربة الشديدة التماسك . فلهذا كان رأي جمهور المزارعين انهُ لا بدَّ من تجربتهما اياماً اخرى في اطيان متعددة في تربات مختلفة قبل ان يحكم بصلاحيتهما لحرث الاطيان المصرية

واما المحراث الفرنسوي فيحرث به على البقر وقد جُرب في ارض المعرض فمدحهُ الناظرون ولاسيما الانكليز منهم لما رأوا سهولة ادارته من ثلم الى ثلم وسهولة تعميق الحرث به حسب الاختيار

وخلا المعرض من البقر زادت الخيل المعروضة فيهِ عن المعتاد من خيل للشغل وخيل للزراعة وخيل للنتاج وكذلك الخرفان والشياه والكباش

وفاق المعرض ايضاً في كثرة ما عرض فيهِ من الآلات والعدد البخارية والميكانيكية والزراعية وآلات الري والسكك الحديدية والزراعية

ومن اخص ما بانت عليهِ دلائل التقدم والاتقان من الصنائع المحلية صناعة السمت فان المعروض منها يحكي في الجودة والاتقان احسن ما يؤتى بهِ من الخارج . وصناعة الخيام فقد سر الناس برؤية الخيمة الوطنية ومعروضاتها المصورة بصور المصريين القدماء والمزينة بالكتابات والنقوش

هذا ولا خلاف في ان الاقبال على هذا المعرض يزداد عاماً فعاماً وان الاهالي ادركت نفعهُ وجعلت تكتسب الفوائد منهُ والفضل في ذلك للجنة الزراعية الخديوية عموماً ولحضرات المستر كاري والمستر فودن سكرتير الجمعية ومعاونيهِ من ابناء الوطن خصوصاً

الجمعية الزراعية

وفي اليوم التالي اجتمعت الجمعية الزراعية الخديوية اجتماعها السنوي في دار المعرض الزراعي برئاسة دولتلو رياض باشا وحضر الاجتماع نحو مئة وخمسين عضواً من حضرات المحافظين والمديرين وكبار الوجهاء والعمد فاستهل دولتلو رياض باشا الكلام على فائدة الجمعية الزراعية وما فعلتهُ في غضون السنة الماضية من تقديم نقاوي القطن الجيد المنتقى بثمن بخس فلم يزد ثمن الاردب واصلاً الى المزارعين على ٨٢ غرشاً مع انهُ هو يشتريهِ من زراعتهِ بجنيه انكليزي . ومن تقديم السماد الكيماوي الذي يزيد بهِ محصول الارض كثيراً . وذكر بعض الامثلة على ذلك وقال ان الاراضي التي يضاف اليها السماد الكافي سواء كان مباخاً بلدياً او سماداً كيماوياً يزيد محصول الفدان منها من ثلاثة ارادب غلة مثلاً الى خمسة ومن خمسة قناطير قطن الى ثمانية

ثم ذكر خلاصة حساب السنة الماضية وطلب المصادقة عليها . فصادق الاعضاء لكنهُ قال ان نحو اربع مئة من الاعضاء لم يدفعوا قيم الاشتراك ولامهم على ذلك لانهُ يدل على قلة غيرتهم فاعترض بعض الحضور قائلاً ان تأخر الاعضاء عن الدفع قد لا يكون لهُ سبب الاَّ الاهمال

او عدم السهولة في ارسال المطلوب حينما يُطلب لاسيما وان العادة الجارية في البلاد لدفع الاموال الاميرية واشتراكات الجرائد هو ارسال المحصلين وتحصيل المطلوب بواسطتهم وأكّد اصحاب السعادة شواربي باشا ومصطفى باشا البغدادلي ومحمود باشا ابي حسين وابرهيم باشا سعيد وعبد الرازق باشا ان تأخر البعض عن الدفع اهمال منهم لا غير وطلب سعادة محب بك مدير الفيوم ان ترسل الجمعية محصلين يحصلون مطلوبها بمساعدة اللجان المركزية ويساعدون اللجان في الارشادات الزراعية ووافقهُ سعادة عدلي باشا يكن محافظ العاصمة على ذلك ولكنهُ طلب فصل امر التحصيل عن امر الارشاد ولو نيط العملان بمندوبين يرسلان الى الوجه البحري والقبلي لمساعدة اللجان في الارشادات الزراعية والاهتمام بتحصيل قيم الاشتراكات فاقرّت الجمعية على ذلك بعد ان ذكر الرئيس اسماء كبراء المديريات واحداً واحداً وقال انهم يجب ان يهتموا بارشاد اهالي مديرياتهم وحثهم على دفع حقوق الجمعية مقدماً لهم مثال المستر جبسن والمستر كاري اللذين يخدمان الجمعية بكل جهدهما وليس لهما راتب منها ولا شبر ارض في البلاد

ثم تكلم عن طاعون المواشي وشدة وطأته على البلاد وما فعلتهُ اللجنة المركزية مع الحكومة وما اقرت عليهِ لما اجتمعت مع مندوبي الحكومة وهم مستشار الداخلية ومدير الصحة والمفتش البيطري العام . ومدار قرارها على ان تهتم الحكومة بتسهيل جلب المواشي والدواب من البلدان التي انتشر فيها مرض المواشي زماناً طويلاً ثم زال منها حتى صارت الحيوانات الباقية فيها بأمن منهُ واعفائها من رسم الجمرك ومن نصف اجرة النقل في سكة الحديد ووضع الآتي منها بحراً في الكورنتينا عشرة ايام والآتي منها من السودان في الكورنتينا في حلفا ٤٨ ساعة . وتعهدت اللجنة ان تشتري ما يجلب من السودان اذا لم يشترهِ احد وان تضع سكة الحديد مركبة لنقل اللحم نهاراً كالمركبة التي ينقل بها ليلاً

وقال دولة الرئيس انهُ كان الاولى بالحكومة ان تشتري هي المواشي من الخارج وتعرضها في مراكز القطر لكي يشتريها المزارعون وتتساهل مع فقرائهم فتأخذ منهم ثمنها تقسيطاً لان آفة الوباء شديدة جداً ولا يجوز التغاضي عنها وانتظار ما يفعلهُ تجار المواشي . وذكر ان البعض ماتت مواشيهم كلها وهم يحاولون الآن حرث ارضهم بالفاس او بواسطة الخيل والبغال . وارتأى ايضاً ان تعود الجمعية فتطلب من الحكومة منع ذبح العجول مراعاة لمقتضى الحال وقال ان كل مايعترض بهِ على هذا الطلب ضعيف في جنب مصلحة البلاد العمومية وللحكومة حق ان تمنع ذبح العجول كما لها حق ان تقفل اسواق المواشي وان تضع الكرنتينا عليها او تمنع دخولها مطلقاً اذا انتشر فيها مرض . فوافقهُ اعضاء الجمعية على ان يطلبوا من الحكومة ان تبتاع هي

المواشي من البلاد الاجنبية ومن السودان وتبيعها للزارعين وان تمنع ذبح العجول مطلقاً وختم الاجتماع قبل الظهر بنصف ساعة

جوائز المعرض

الحبوب وغيرها

نال الجائزة الاولى عن القمح الاسمر البحيري البرنس عمر باشا طوسون والجائزة الثانية مصطفى شعث

ونال الجائزة الاولى عن القمح الاسمر الصعيدي الخواجه رزق الله مشرقي والجائزة الثانية محمد افندي محفوظ والثالثة عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القمح الابيض البلدي دائرة البرنسات امينة ونعمة هانم وعلي اسمعيل ودولتلو رياض باشا ومحمد ابو زيد طنطاوي وعمر بك سلطان . ونال الجائزة الثانية محمد بك والي الجندي وابو زيد بك طنطاوي وحسن باشا عبد الرازق ومحمد بك دقن وسعد مسعود وعبد العال بك اسمعيل وابو سيف بك راضي وجرجس بك يعقوب ودائرة البرنسات امينة ونعمة هانم وسليم بك عكاشه ونال الجائزة الثالثة عبدالله بك مجاور وعمر افندي محمد ومرقص بك حنا

ونال الجائزة الاولى عن القمح الابيض الاجنبي المزروع بمصر دائرة البرنسات امينة ونعمة هانم والبرنس عمر باشا طوسن والجائزة الثانية رياض باشا

ونال الجائزة الاولى عن الشعير دائرة البرنسات امينة ونعمة هانم وخليفه بك رمضان والشيخ جبر العشري ودولتلو رياض باشا والجائزة الثانية محمد قنديل وعلي محمود وابو زيد بك طنطاوي ومصطفى بك خليل رعبد العال بك مجاور

ونال الجائزة الاولى عن الفول البحيري دائرة البرنسات امينة ونعمة هانم . والجائزة الثانية الدائرة نفسها والجائزة الثالثة الخواجه جورج عيد وبوغوص باشا نوبار

ونال الجائزة الاولى عن الفول الصعيدي قطب بك قرشي وعمر بك سلطان . والجائزة الثانية ابو زيد بك طنطاوي ومحرم بك محمد وعبد القادر حسنين والجائزة الثالثة محمد طرشان وعمر افندي محمد ومتى افندي حنا الضعيف

ونال الجائزة الاولى عن الذرة الشامية دائرة البرنسات امينة ونعمة هانم والجائزة الثانية الدائرة نفسها ودولتلو رياض باشا والجائزة الثالثة عمر بك محمد وزيدان العبد

ونال الجائزة الاولى عن الذرة الاجنبية مصطفى بك خليل والثانية ابو زيد بك طنطاوي

ونال الجائزة الاولى عن الذرة البلدية الرفيعة ابو زيد بك طنطاوي وتهامي عبد الرحمن والثانية محمد ابو زيد طنطاوي واسمعيل مقبل

ونال الجائزة الثانية عن العدس البحيري محمد السيد وعلي السيد

ونال الجائزة الاولى عن العدس الصعيدي عمر بك سلطان والجائزة الثانية سعيد بك عبد المسيح

ونال الجائزة الاولى عن الفول السوداني مصطفى بك خليل والثانية قاسم بك مراد

ونال الجائزة الثانية عن الارز السلطاني دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم

ونال الجائزة الاولى عن الارز السبعيني عبد الباقي عبد الله والجائزة الثانية ابو زيد بك الطنطاوي

ونال الجائزة الثانية عن صنف الارز عبد الوهاب داوود

ونال الجائزة الاولى عن بزر الكتان احمد بك عثمان الهلالي والجائزة الثانية محمد الطحاوي وسيف النصر بك طنطاوي

ونال الجائزة الاولى عن السمسم الابيض قاسم بك مراد والجائزة الاولى عن السمسم الاحمر البرنس عمر باشا طوسون والثانية قاسم بك مراد

ونال الجائزة الاولى عن الحلبة ابو زيد بك طنطاوي والثانية مصطفى افندي بهجت

ونال الجائزة الاولى عن البرسيم البعلي علي سليمان الشواربي والجائزة الثانية دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم وبوغوص باشا نوبار

ونال الجائزة الاولى من البرسيم المسقاوي مصطفى احمد عبيد والجائزة الثانية خليفة بك رضوان

ونال الجائزة الاولى عن البرسيم الخضراوي دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم . والجائزة الاولى عن البرسيم الحجازي بوغوص باشا نوبار والثانية دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم . ونال الجائزة الثانية عن الجلبان منقريوس افندي رزق والجائزة الثانية عن البسلة حسين محمد يوسف والثانية عن القرطم مصطفى افندي بهجت والثانية عن الحمص حسن الشناوي ومحمد السيد الكبير والثانية عن الجراوى الشيخ حمدان عثمان والثانية عن الترمس حسن الشناوي والثانية عن اللوبيا رزق باشا . ونال الجائزة الثانية عن مجموعة نباتات من العلف محمد عيسى وعن مجموعة الزيوت ابرهيم ابو شناق

ونال الجائزة الاولى من البطاطس محمد السيد الكبير والثانية يولي بك ونال الجائزة الاولى عن البطاطس المزروع برسم التصدير الى الخارج يولي بك والثانية علي السيد

ونال الجائزة الاولى عن البصل محمد عيسى والثانية ابرهيم حنفي والثالثة حنفي محمد جلال

ونال الجائزة الاولى عن الطماطم محمد السيد الكبير والثانية على السيد

ونال الجائزة الثانية عن عسل النحل مدرسة الزراعة

ونال الجائزة الثانية عن مجموعة من البلح محمد السيد الكبير وحسن الشناوي ونسيم برسوم ومصطفى شندي وعبد الحميد صدقي

ونال الجائزة الاولى عن مجموعة من خشب الاشجار الثامية بالقطر المصري جرجس يسطار والثانية نسيم برسوم

ونال الجائزة الاولى عن قصب السكر الاحمر الشيخ مصطفى خليل والثانية شركة السكر

ونال الجائزة الاولى عن قصب السكر الابيض شركة السكر والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القصب البلدي الشيخ مصطفى خليل والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القصب الروباني شركة السكر والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى من الزبدة مدرسة الزراعة والجائزة الاولى عن السمن جبران جريس ومحمد صبحي والجائزة الاولى عن الكريما محمد صبحي ومدرسة الزراعة والجائزة الاولى عن الجبن المتخرج من الكريما مدرسة الزراعة

والجائزة الاولى عن الجبن البلدي محمد صبحي والثانية مدرسة الزراعة

ونال الجائزة الاولى عن الحرير امام بك اسمعيل والجائزة الاولى الممتازة عن الحصر محمد عمر الحصري متعهد الحضرة الخديوية ومحمد البدريسي والثانية محمد فهمي عمر والجائزة الاولى عن الخليم علي السيد

ونال الجائزة الاولى عن السكر الغير المكرر عمر بك سلطان وعن السكر المكرر عمر بك سلطان . ونال الجائزة الثانية عن العسل الاسود عمر بك سلطان . والجائزة الاولى عن شمع العسل الشيخ مصطفى خليل . والجائزة الاولى عن حشيشة الدينار مدرسة الزراعة

الاقطان

القطن الميت عفيف

نال الجائزة الاولى الدائرة الخاصة ومدام اوغبيان باشا ومصطفى بك خليل ودولة البرنس ابرهيم حلمي وصالح بك نامق ونال الجائزة الثانية عبد الحميد باشا صادق وعدلي باشا يكن وعبد السيد قنديل ودائرة البرنس حميدة هانم وسالم بك مشهور ومصطفى باشا صدقي ودائرة البرنسات امينة ونعمة هانم والمسيو نوفيل ومحمد بك ابو نافع ونال الجائزة الثالثة عيسوي بك سعيد ومحمد بك ابو جازية وحسن بك يوسف ومحمود باشا ابو حسين واحمد بك كامل

القطن الاشموني

نال الجائزة الاولى ابو زيد بك الطنطاوي وعمر بك سلطان ومحمد بك راسم والدائرة الخاصة والجائزة الثانية دائرة البرنس حسين باشا واحمد باشا راشد

القطن العباسي

نال الجائزة الاولى احمد باشا راشد ودائرة القصر العالي والجائزة الثانية دائرة البرنس ابرهيم ومحمد زكي باشا ودائرة القصر العالي ودائرة البرنس حسين باشا ودائرة فاطمه هانم ودولة البرنس عزيز حسن

القطن اليانوفتشي

نال الجائزة الاولى الخواجه قسطنطينيدس وعبد الفتاح يحيى ومحمد بك مصطفى وعبد الرحمن شادلي والمسيو اندريكوهي ومحمد بك شناوي والجائزة الثانية رالي بتريتو ومحمد بك بدراوي وعلي برباري وزييده هانم ومحمد بك شادلي ومحمد بك شاكر ومصطفى بك خليل وسالم بك مشهور وزكي افندي جريس

الاقطان الجديدة

نال جائزة اولى خصوصية المسيو فولتس عن صنفين من القطن الجديد وكذلك سعادة بوغوص باشا نوبار

الحيوانات

نال الجائزة الاولى عن الاغنام عمر بك سلطان ومدرسة الزراعة وخليفة بك رمضان وابرهيم بك الهلباوي ومحمد بك دري ومحمد بك الشناوي ونال الجائزة الثانية ابو زيد بك طنطاوي وعمر بك سلطان وبدر بدر وابرهيم بك الهلباوي وخليفة بك رمضان ورزق احمد

ونال الجائزة الاولى والثانية عن الجمال عمر بك سلطان

ونال المستر كير مدالية برونز خصوصية عن الهجين

ونال الجائزة الاولى عن الخيول سليمان بك احمد اباظه واحمد بك البريدي والجائزة الثانية محمد بك علي شعير ونال مدالية برونز كل من الشيخ امين عارف ودرويش الجندي

ونال الجائزة الاولى عن الحمير والبغال حبيب افندي علي وحسن بك زايد والثانية المسيو جورج عيد وشركة اراضي ابي قير وسليمان بك احمد اباظه وعمر بك سلطان والحاج محمد عمدة شندويل

ونالت المدالية الذهبية شركة السكر وقد اشتهرت معروضاتها في هذه السنة بنقاوة الوانها

وجمال منظرها ومما عرضتهُ كثير من اصناف السكر الابيض المستخرج من القصب المصري وكيفية استخراج السكر النبات وصبّهِ . ونالت المدالية الذهبية ايضاً شركة الاسمنت المساهمة المصرية

ونال الجائزة الاولى الخواجة قلاده انطون عن آلات زراعية وابورات ومطاحن وسواقي وغيرها ومحل حسبو محمد وشركاهُ في الاسكندرية وقد عرض هذا المحل كثيراً من العدد والآلات الزراعية ومنها المحراث المشهور بمحراث درابي البخاري وهو اختراع حديث العهد كبير الحجم والفائدة

ونال المدالية البرونز محل الفريد دنار عن اصناف الكاوتشوك

ونال الجائزة الاولى محل جوانى ماركو عن حمامات ومرشحات ومطابخ وآلة جديدة اخترعها لتسخين المياه بسرعة فائقة بواسطة السبرتو او الفحم

ونال الجائزة الاولى محل عزيز مايستر عن ابورات وطواحين وغيرها مما يحتاج اليهِ للشؤون الزراعية كالخرطوم المعروف بالخرطوم المصري وهو اختراع جديد متين جداً لصاحب امتيازهِ اصطفان افندي شعيا

ونال الجائزة الاولى محل توماس كوك واولاده ومحل المهندس جويد ومارووفي

تجربة المحراثين البخاريين

مضى اعضاء الجمعية الزراعية في ٢٢ فبراير الى ابعدية بوغوص باشا نوبار في شبرا حيث شاهدوا تجربة المحراثين البخاريين اللذين عُرضا في المعرض الزراعي وكانوا جمعاً غفيراً يتقدمهم دولتلو رياض باشا واصحاب السعادة نخري باشا وبوغوص باشا نوبار ويعقوب باشا ارتين وشواربي باشا وانيس باشا وكثيرون غيرهم من ارباب الزراعة . وسار المحراثان في ارض كانت مزروعة برسيماً لا هي بالثقيلة ولا هي بالخفيفة لكنها رطبة نوعاً ويظهر انها مثل متوسط الاطيان المصرية . واستمرَّت التجربة نحو ساعتين وكان بوغوص باشا نوبار وشواربي باشا وانيس باشا من المحكمين فحكموا ان المحراث الكبير المعروف بمحراث داربي يحرث ستة افدنة في النهار الواحد اذا عمل عشر ساعات متوالية فاعطي المدالية الذهبية وان المحراث الصغير الذي عَرضهُ المسيو هلر يحرث فدانين وثلاثة ارباع الفدان في النهار واعطي المدالية الذهبية ايضاً

والمحراث الكبير يثير الارض اثارة الى عمق عشرين سنتمتراً او خمسة وعشرين وينعمها ولكنهُ لا يقلبها ولهُ شوكات تدور على محاورها وبها يثير الارض على اسلوب بديع ولكن لا بدَّ من دخول التراب والرمل بين هذه الشركات ومحاورها فيسرعان تلفها . ويقول بعض ارباب

الزراعة ان الحرث بهذا المحراث كافٍ لزرع الغلّة ولكنهُ غير كافٍ لزرع القطن ويقول غيرهم انهُ كافٍ للاثنين . ويقال انهُ يحرق ثلاثة قناطير من الفحم في حرث الفدان الواحد

والمحراث الصغير يشق الارض شقًّا ويقلبها كالمحراث البلدي ويقال انهُ يحرق ثمانية لترات من البنزين في الساعة فقد يكون ثمن البنزين مانعًا من استعماله لا سيما وان البنزين سهل الالتهاب فاذا امكن ابداله بزيت البترول فلا يبعد ان يشيع استعمال هذا المحراث

باب تدبير المنزل

قد نفحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم أهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام والقماش والشراب والمسكن والزينة وغير ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

فتح القصبة

قد يصاب الحلق بداء السرطان فيمنع التنفس ويعرّض المصاب للموت اختناقًا . ولدفع خطر الموت العاجل يشق الجراح قصبة الرئة تحت المكان المصاب فيسهل التنفس ويطال في اجل المصاب ويسهل الموت ايضًا اذا كان محتومًا الاَّ ان هذه العملية لا يرجى معها الشفاء كما يرجى في حوادث الدفتيريا

وطريقة العملية ان يدخل الطبيب من حلق المصاب انبوبتين معقوفتين الواحدة داخل الاخرى ويعلّم المصاب او الممرضة كيفية نزع الانبوبة الوسطى وغسلها . وتغسل هذه الانبوبة كل بضع ساعات بالصابون والصودا . واذا حدث بعد ذلك ضيق في التنفس او صوت كالصفير عند التنفس فهي ادلة على ان الانبوبة مسدودة . ويغذى المصاب بالاطعمة السائلة واللينة

عمليات البتر في الصدر

اختلف الاطباء في كيفية المعالجة بعد اجراء العمليات فمنهم من يستعمل الجبس والرباطات العادية في الغيارات ومنهم من يفضل الرباط الواحد العريض ويضع الذراع على الصدر ويربطها معهُ . ومنهم من يسند المصاب بالوسائد خوفًا من حدوث النزف وآخرون يلقون المصاب مستلقيًا على ظهرهِ . واذا اشار الجراح بطريقة من هذه الطرق فعلى الممرضة ان

تعمل بمشورتهِ وتثق بهِ ثقة تامة . واذا لم يفضل طريقة على غيرها فيتبع في ذلك ميل المصاب وارادتهُ وقد يشعر المريض براحة عظيمة اذا وضعت وسادة تحت ذراعهِ على الجانب الذي أُجريت العملية فيهِ

بتر الذراع والساق

يُرفع اصل العضو المبتور قليلاً ويُسند على وسادة حذرًا من حدوث النزف . وهذه العمليات خطيرة جدًّا اذ بها تُقطع شريانات كبيرة فيستدعي ذلك اشد المراقبة . ويُعرّى اصل العضو المبتور من الثياب في الايام الاول . فاذا حدث نزف ترى في بادئ الامر بقعةً حمراء على الرباط فان لم تزد مساحة سطحها على مساحة سطح الفرنك مثلاً فلا سبب للخوف والحذر . واما اذا رأيت الدائرة تتسع فاسرع وارسل من يدعو الطبيب واما انت فضع قطعةً كبيرة من القطن المندوف فوق مكان البتر واربطها ربطًا وثيقًا . واذا كانت العملية في الساق وكنت حاذقًا ودقيق الشعور في اللمس فتجد الشريان الكبير في وسط اربية الفخذ واذا لمستهُ تراهُ ينبض ويضطرب فضع يدك تحت الورك واضغط بابهامك على الشريان وعلى العظم الى ان يصل الجراح . واذا كانت العملية في الذراع فارفعها واربطها ربطًا وثيقًا وهذا اسهل من ان تفتش عن الشريانات تحت الترقوة او بين العضلات

وهذه العمليات مؤلمة جدًّا اذ بها تنقطع بعض الاعصاب . ومن غرائب الامور ان المصاب بعد ان تُبتر ذراعهُ او رجلهُ او ساقهُ كثيرًا ما يشكو الالم في الطرف المبتور كأن ذلك العضو لم يزل في مكانهِ حيًّا

عمليات البطن

كان الاطباء في السنين السالفة اذا اتاهم مريض مصاب بداء في بطنهِ عجزوا عن تشخيص مرضهِ تشخيصًا تامًّا وان استطاعوا تشخيصهُ ومعرفة الداء فلم يكن ينجع فيهِ دواء لانهم لم يكونوا حينئذٍ يتجاسرون على فتح البطن والتوصل الى مركز الداء فيقضي على المصاب ان يموت . على ان فن الجراحة قد تقدم لتقدمًا عظيماً في هذه السنين الاخيرة حتى اذا تعذر على الاطباء تشخيص مرض باطني وكان المصاب في خطر الموت شقوا المكان الذي منهُ يشكو الالم وشاهدوا بعينهم اصل الداء فيسهل عليهم وصف الدواء . وقد خلّصت الجراحة الباطنية كثيرين من مخالب الموت العاجل واعادت اليهم الصحة التامة . ويدخل تحتها عمليات المعدة والكبد والكليتين والامعاء والزائدة الدودية والمثانة وغيرها من الاعضاء والنابيات الغريبة . فيتبين من ذلك ان الطبيب وان استطاع تشخيص المرض الباطني تشخيصًا تامًّا حقيقيًّا يتعذر عليهِ نفع المريض ما

لم يشق بطنهُ ويصل الى اصل الداء والشكوى . فقد تدخل بزرة ثمرة الى الزائدة الدودية فتسبب التهابًا وصديدًا وينتهي الامر بالموت الزؤام . وقد تنحرف الامعاء عن مكانها الطبيعي او ينمو هنالك شيء غريب او يتكون الصديد في عضوٍ داخلي وكل هذه تسبب آلامًا مبرحة وقد يعقبها الموت الباكر ولا تجدي الاطباء وادويتهم نفعًا . ففي مثل هذه الاحوال يتقدم الجراح ويخيّرك بين الموت العاجل مصحوبًا بالاوجاع والآلام وبين عمليةٍ جراحية يصحبها امل الشفاء التام . وليس في طاقة الجراح ان يعدك بالشفاء حتمًا لان المرض الباطني قد يكون مرض السرطان او السل الرئوي في درجة متقدمة او غير ذلك مما لا سلطة للجراح عليهِ . ولكن اذا استثنينا هذه فامل الشفاء بعد اجراء العملية كنسبة عشرة الى واحد اي ان من كل عشرة تجرى فيهم العمليات الجراحية يشفى تسعة ويموت واحد فقط . واما اذا اجّل المصاب اجراء العملية او رفض اجراءها بتاتًا فامل الشفاء كنسبة واحد الى عشرة ولا سيما اذا كان الداء التهاب الزائدة او اختناق المعى او سرطانًا في المعدة

لنفرض ان المصاب قبل بان يعمل الجراح لهُ عمليةً وانك اعددت غرفة العملية كما اعددتها تلك الممرضة التي وصفتها لك سابقًا وان العملية قد تمّت وأُلقي المريض على سريره وبين رجليهِ زجاجات الماء الساخن . فعليهِ ان يستلقي على قفاهُ وتوضع وسادة تحت ركبتيهِ وهذا ضروري جدًا لانهُ اذا ارتفعت الركبتان ارتخت عضلات البطن فانبسط وصار عديم الحركة . والانقطاع عن الحركة ضروري جدًا في مثل هذه الاحوال . وعلى الطبيب او الممرضة الخبيرة ان تستخرج البول من المرأة مرةً كل ثماني ساعات على الاقل . وعلى الممرضة او من يقوم مقامها ان يستعمل واسطةً يتمكن بها من رفع ثقل اغطية الفراش عن بطن المريض . وتوصلاً الى هذه الغاية تستعمل المستشفيات اسرّة فيها أُطر الحديد فاذا لم يمكن اقتناء سرير مثلها فيستعاض عنهُ بوضع الوسائد على جانبي المريض بشرط ان يكون علوّها كافيًا لحمل ثقل الاغطية ورفعها عن الجرح

ويبقى بعد العملية الجراحية البطنية خطران عظيمان احدهما الانحطاط الكلي المسبب عن الصدمة والثاني الانحطاط المسبب عن نزف داخلي . وقد قلنا سابقًا ان اعراض النزف الداخلي هي اصفرار الوجه وابيضاض اليدين والاظافر والشفتين والانف والاذنين . والقلق والحركة الدائمة فيرمي المصاب بذراعيهِ الى هنا وهنالك ويتقلب على فراشهِ بدون انقطاع . والاغماء والتنهد العميق بدلاً من التنفس الطبيعي . فاذا ظهرت لك هذه الاعراض فافتح النوافذ ليتجدد الهواء في الغرفة واكثر من زجاجات الماء الحار في الفراش وافعل كل ذلك بهدوء وانتظام . وكثيرًا ما يسوء خلق المريض او يتعلق بشخص وينفر من كل احد سواهُ فلا يقبل ان يمرضهُ ويعتني بهِ غيرهُ .

والغالب ان ذوي المريض يشفقون عليه ويجرون طوع امره ولو عاد عليه ذلك بالضرر. على ان هذا الانقياد الاعمى من اهل المريض وذويه مخالف للحكمة والصواب ويعود عليه وعليهم وبالاً. فان الساهر على المريض يحتاج من الطعام والنوم والراحة والهواء النقي قدراً كافياً والاَّ ما استطاع ان يقوم بواجباته حق القيام. فعليك ان تتخذ التدابير من اول الامر ليكون السهر على مريضك بالتناوب. فيجلس غيرك بجانب سريره لينظر الى حاجاته بينما تأخذ حاجتك من الراحة والطعام والنوم ثم تجلس بجانب سريره بينما يأخذ غيرك حاجتهُ من الراحة والطعام والنوم. وافعل ذلك مهما شقَّ الامر عليك وعلى مريضك واذكر انهُ يؤول الى فائدته

وفي اليوم الاول قد يكون الخطر على حياة المصاب عظيماً ويتهددهُ الموت في كل ساعة وفي اليوم الثاني يخف الخطر ويقوى الامل فاذا مضى عليه اليوم الاول والثاني اصبح شفاؤهُ مرجحاً الاَّ اذا فرط من المريض او الممرضة او من يقوم مقامها سوء في التصرف وحماقة في التدبير. وقد يكون الجراح افلح في اجراء العملية على غاية ما يرام فيتلف المريض او من يمرضهُ عملهُ بسوء تصرفهما. وقد علمت ان زمن الخطر الشديد لا يزيد على اليومين الاولين وعليهما تتوقف حياة المريض او موتهُ. فيجب اذ ذاك اشد الحذر ومراقبة المريض مراقبة تامة وعدم الاغضاء عنهُ لحظة واحدة. ولا يمكن للشخص الواحد ان يقوم بهذا الواجب بدون مساعدة فيجب ان يكون السهر والمراقبة بالتناوب

اما التغذية فقد اختلف الجراحون فيها فمنهم من يمنع الطعام والشراب عن المريض مدة ٢٤ ساعة فلا يبرد غليلهُ بنقطة من الماء. ومنهم من يعطيه الغذاء بعد العملية باثنتي عشر ساعة اذا لم تجش نفسهُ للتقيوء. فيبتدئ باعطائه ملعقتين كبيرتين من اللبن والماء او اللبن والشاي كل ساعة. ثم اربع ملاعق كبيرة كل ساعة ثم ثماني ملاعق كل ساعتين ثم اثنتي عشرة كل ثلاث ساعات وهكذا بزيادة كمية الغذاء وتطويل المدة بين تناول الغذاء الواحد والاخر. واذا مضى على ذلك ثلاثة ايام وانطلقت امعاء المصاب فاعطهِ من الاطعمة اللينة الليبة بحسب ما يُشير الجرَّاح عليك. واذا جاشت نفسهُ واراد التقيوَّ فضع يدك على بطنهِ فوق الجرح واذا اردت قلبهُ من جانب الى آخر فاقلبهُ دائماً الى جانب الجرح لكي لا يقع شد على الجرح والقطب. ومن الجراحين من يستعمل القطن المندوف والرباط لمثل هذه العمليات ومنهم من يضع فوق الجرح المخاط عدة طبقات من الشاش الناعم ويلصقها على الجسم بالكولوديون. ويضع الرباط العادي من الفلانلا او البفت الناعم المتين ويكون طولهُ نحو ذراع وربع وعرضهُ نصف ذلك. ويمكنك في اليوم الثالث ان تغيّر ثياب المريض بكل اعتناء او تضع وسادة ثانية

تحت رأسهِ ولكن لا يُرفع رأسهُ اكثر من ذلك وتغير اغطية الفرش وتصلح تحتهُ كل صباح ومساء وتنفض الوسادة وتعاد الى تحت ركبتيهِ ليشعر براحة والاَّ فانهُ يبقى في تعب دائم وحركة غير منقطعة . واغسل يديهِ ووجههُ كل صباح ومساء واتخذ كل الوسائل والتحوطات لمنع قروح الفراش البواسير والنواسير

حذه الحوادث مؤلمة جدًّا ويلزم لشفائها من اربعة اسابيع الى ستة على الغالب ويحقن المكان بعد العملية بالمورفين لتسكين الالم . تسيب الامساك . ويعطى المصاب شيئًا قليلاً جدًّا من الغذاء في الاربعة او الخمسة الايام الاولى الى ان تتحرك الامعاء وتنطلق لكي لا يعاق شفاء الجرح . والخروج الاول يكون مؤلمًا جدًّا حتى يغمى على كثيرين من المصابين بعد حدوثهِ فعليك ان تكون معهم في الغرفة هذه المرة . ويضع الطبيب الغيار في المرة الاولى وعليك ان تعتني بالمريض بعد ذلك وتغسل الجرح كل مرة بعد الخروج بالخرق اللينة والقطن المندوف والصابون والماء الفاتر . ثم اغسلهُ بمحلول فيهِ مادة مضادة للفساد ويفضل محلول كلوريد الزئبق على محلول الحامض الكربوليك لان محلول الزئبق لا يحدث تهيجًا كمحلول الحامض الكربوليك والمستقيم شديد الحس جدًّا

باب التقريظ والانتقاد

ديوان الثعاويذي

اذا طبعنا نحن الشرقيين كتابًا من كتب المتقدمين فالغالب انهُ يخرج من يدنا كثير الغلط خاليًا من الفصول والفهارس وان الحقنا بهِ فهرسًا صغناهُ على اسلوب لا يهتدى بهِ الى شيء فيهِ . هذا وفيات الاعيان لابن خلكان قلما يستطيع الطالب ان يهتدي الى موضع علَم من الاعلام التي يطلبها فيهِ لان فهرسهُ مرتب حسب اسماء الاعيان لا حسب الالقاب التي اشتهروا بها ولذلك جاء في حرف الميم اسم ابن الاثير والامام الشافعي والامام البخاري وابن سيرين والغزالي والرازي والواقدي وابن زهر والثعاويذي وابن مقلة والبتاني والزمخشري وغيرهم من المشاهير الذين قلما يخطر على البال ان تطلب اسماءهم في حرف الميم وقس عليهِ غيرهُ من الكتب

اما علماء الافرنج الذين عنوا بطبع الكتب العربية فقد بذلوا الجهد في تصحيحها واتقانها

بالفهارس المختلفة ليسهل بها الاستدلال على ما فيها ومن ذلك هذا الديوان وقد عني بنسخهِ وتصحيحهِ العالم الفاضل الدكتور مرجليوث استاذ العربية في مدرسة اكسفرد الجامعة وطبعهُ في مطبعة المقتطف بالشكل الكامل والحق بهِ فهرسين كبيرين ذكر في الاول منهما اسماء الممدوحين والمجوبين وغيرهم ممن جرى ذكرهُ في هذا الديوان ونوع الشعر الذي قيل فيهم بين ان يكون مدحاً او هجاء او رثاء . وفي الفهرس الثاني المعاني الواردة في الديوان كالإباء واستقراض الكتب واعادة الدعوة العباسية والتشيُّع والحمام والخنان والربيع والسكر والشبيبة والشيب وهلمَّ جرًّا. وقدَّم لهُ جدولاً ذكر فيهِ كثيرًا من كتب الادب والتواريخ التي وردت فيها ابيات من اشعار التعاويذي واشار الى القصائد التي أُخذت تلك الابيات منها والى اماكن طبع تلك الكتب والصفحات التي وردت الابيات فيها

والتعاويذي شاعر مشهور وهو ابو الفتح محمد بن عبد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي المتوفَّى سنة ٥٨٣ للهجرة قال فيهِ ابن خلكان انهُ "كان شاعر وقتهِ ولم يكن فيهِ مثلهُ جمع شعرهُ بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها وفيا اعتقدهُ لم يكن قبلهُ بمئتي سنة من يضاهيهِ" . وهو كذلك فاننا لم نرَ ديوانًا جمع ما جمع هذا الديوان من نفيس الشعر غزلاً ومدحًا وهجاء فكيفما قلبتهُ لا تجد الاَّ ابياتًا محكمات وآيات في البلاغة بينات كقولهِ في مدح الامام المستضيء بالله سنة ٥٧٧ ومطلعها

تجلت من عطائك الانواء وتجلَّت بنورك الظلماء
واستجابت لك المالك اذعا نًا وفيها على سواك اباء
نسخ العدل في ايالتك الجو رَ كما ينسخُ الظلامَ الضياء

وهي طويلة فيها ٨٧ بيتًا عامرًا ببليغ المعاني وجزل الالفاظ

وكقولهِ في مدحهِ ايضاً

سستَ الانام بسيرةٍ ما سارها في الناس الاَّ جدُّك المتوكِّلُ
لا حرمة الدين الحنيف مضاعةٌ كلاَّ ولا حق الرعايا مهملُ
شرفًا بني العباس شاد بناءهُ لكمُ فاعلاهُ النبيُّ المرسلُ
شرفتم بطحاء مكة فاغتدت بكم يعظم قدرها ويبجلُ

وكقولهِ في مدح عضد الدولة ابن المظفر

آل المظفر والسيادة فيكمُ خُلُقٌ وغيركم بها يتخلقُ
يتلو قعيدًا في السيادة معرقًا منكم قعيد في السيادة معرقُ

انت الغمام الجون فيهِ صواعقٌ ... تردي العدوَّ وفيهِ غيثٌ مغدقُ
وكأن كفك ديمة مدرارة ... وضياء وجهك برقها المتألقُ
هيهات شأوك حضبة ازليقة ... لا تستطاع وغاية لا تلحقُ

وقولهِ في عماد الدين ابن الشهرزوري

بكم ايَّد الله المالك فاغتدت ... موطدة الاكناف مجموعة الشملِ
فمن سائس للملك فيهِ مدبّرٍ ... ومن عالم حبر ومن حاكم عدلِ
وعشتم لدهر انتمُ حسناتهُ ... وجدكم حليٌّ لايامهِ العطلِ

وقولهِ في مدح صلاح الدين الايوبي

يرجى ويرهب بأسهُ والماجد المفضال مَن يرجى نداهُ يرهبُ
تخضرَّة اكنافهُ لوفودهِ ... والعام محمرُّ الذوائب اشهبُ
سب بتشييد المآثر متعب ... فيها ومن شاد المآثر يتعبُ
حملت بهِ بعد العقام فانجبت ... امُّ العلى ما كل امٍّ منجبُ
ملكت سجاياهُ القلوب محبةً ... ان الكريم الى القلوب محببُ

وقولهِ في مدحهِ ايضاً

اضحت دمشق وقد حللتَ بربعها ... مأوى الطريد وموئلِ المسكينِ
وغدت بعدلك وهي اكرم منزلٍ ... تلقى الرحال بهِ وخير قطينِ
يثني عليك المعتفون بها كما ... تثني الرياض على السحاب الجونِ

ورثاؤهُ قليل وهجاؤهُ كثير افرط فيهِ احياناً حتى اضطررنا ان نحذف بعضهُ وقت طبعهِ. ومقاطيعهُ وهزلياتهُ تسيل ظرفاً كقولهِ وقد كتب بها الى عماد الدين ولد الوزير عضد الدين

يا عماد الدين يا اكرم من تحت السماء
يا اجلَّ الناس قدراً وابن خير الوزراء
ان تأخرتُ فقد قدمت في الليل دعائي
انا لا احضر الاَّ في مواقيت الهناء
حالةٌ دلت على ضعف قلوب الشعراء

وقولهِ في هجاء حمّامي

وجه يحيى ابن بختيار اذا ... فكرتُ فيهِ من سائر الانحاء
مثل حمامهِ المشوم سواءً ... مظلم باردٌ قليل الماء

وقولهِ لحا الله ليلاً بالعراق سهرتهُ انفع من مدح اللئام القصائدا
فلما نضى عني الظلام رداءهُ تيممت سوقاً للدنانج كاسدا

وقولهِ في تحذير صلاح الدين من ابن الحصين

يا صلاح الدين خذ حذرك من صل العراقِ
فلقد وافاك في ثوبي عناد ونفاقِ
لا يغرّنك منهُ منطق حلو المذاقِ
تحتهُ ما شئتَ من افك وزور واختلاقِ
افعوان ما لما ينفثهُ من فيهِ راقِ

والديوان كبير يقع في اكثر من خمس مئة صفحة بقطع المقتطف وكلهُ من نفيس الشعر وقد قطع ثمنهُ ٣٦ غرشاً من غير تجليد و٤٠ غرشاً مجلداً تجليداً بسيطاً و٤٥ غرشاً مجلداً تجليداً متقناً وموسوماً بالذهب. ويطلب من ادارة المقتطف ومن كل المكاتب الشهيرة

رسالة المفصلة ورسالة جيد

للعالم المحقق ظاهر افندي خير الله الشويري مباحث كثيرة في اسرار العربية استقرى فيها اموراً لم نرَها لغيرهِ من الباحثين وخالف في بعضها ائمة اللغة حاسباً ان القياس اصل في اللغة فلا يُعدَل عنهُ الاَّ لمسوّغ وانكر وجود الشذوذ فيها وحاول وضع القواعد لما سمع منها شاذاً عن غيرهِ وقال بوجود كلمات يدعو القياس الى استعمالها ولو لم تسمع من العرب او لم تذكر في المعاجم الواسعة وانهُ يجب ان تبنى المباحث في اللغة على هذه المبادئ وهي

" (١) انهُ ليس في اللغة شيء لغواً ولا عبثاً ولكن في اللغة ما لم يعرَف سرّهُ بعد

(٢) انهُ لا يقبل في اللغة قول لا يسندهُ قياس ولا يعضدهُ سماع

(٣) انهُ ليس في اللغة شاذٌّ ولكن قد تخفى الحقيقة فيدَّعى الشذوذ

(٤) انهُ من مذاهب العربية الاتساع في الاستعمال ولا يقال لذلك شذوذ

(٥) انهُ للأُمة مع الاعتراف بفضلهم ان ينقلوا الينا لغة العرب وليس لهم ان يحجروا علينا مناهج العرب في استعمالها ولا ان يحجزوا بيننا وبينها

(٦) يبنى علم اللغة على ركنين السماع والقياس والسماع الآن عبارة عما في معاجم اللغة ولكن المعاجم غير مستوعبة اللغة ولا محرَّرة العبارة ولا مدققة المعاني ولا مستكملة المطالب ولا مستقصية المواد فقلما تصلح مرجعاً الاَّ في اصول المواد المذكورة فيها ولهذا يجب ان يكون

اعتمادنا في المباحث اللغوية على القياس الاَّ في اصول المواد المذكورة في المعاجم

(٧) نحن في كل معترَك اضطراب من اختلال او تشذيذ او تحكُّم في اللغة بين ان نقبل القول بذلك وناصر على تهجين لغتنا وتصعيبها وهي نزيهة عن ذلك وبين ان نردَّ ذلك القول وان كان قائلهُ من كبار الأيمة وتنزه لغتنا من كل شائبة عيب كما هي في نفسها كذلك . ولكن ردُّ القول بتهجين اللغة اوجب علينا واحسن الينا وهو لا يسوء الأيمة الفضلاء بل يسُرُّهم لانهم وحاشاهم لم يعمد احدٌ منهم الى سوء ولكن قالوا بما ظهر لهم وابقوا لنا ان نقول بما يظهر لنا . وان كانوا في المقام اعلى وافضل فوسائطنا اكثر واكمل والاعمال بالنيات . والامور مرهونة بالاوقات"

وقسم ما يظهر التشويش في استعمالهِ الى فصول ربط كلاً منهما بقاعدة . فقال ان المشيخة مثلاً ليست جمع شيخ لان المفعلة ليست من ابنية الجموع بل المشيخة مصدر واصل استعمالها من باب الوصف بالمصدر كقول العامَّة هم مضحكة ومسخرة وملعبة . وان لمحاسن مفرد المحسنة ولو لم تذكر في معاجم اللغة لان القياس يدعو اليها والفرع يدلُّ على وجود الاصل . وقسم الكلمات التي على وزن مفعلة الى ما يجمع بالالف والتاء جمع سلامة وما يجمع على مَفاعل جمع تكسير وبيَّن حدود كل فريق منهما وقسم جموع التكسير الى ما يشترك بين ذي الحياة وغيره . وما يختصُّ بذي الحياة

ثم ان المؤلف اضطرَّ ان يهمل بعض ما لا ينطبق على قواعده عند الاستقراء فقال مثلاً ان فَعَلَة وفَعْلَى وفُعَلاء وفَعَل من جموع التكسير مختصة بالعقلاء ومثَّل على الاولى بقضاة ونحاة وترك بزاة . وعلى الثانية بجرحى وهلكى وترك جربى . وعلى الثالثة بعلماء وفضلاء وترك بيناء جمع بيِّن . وعلى الرابعة بخدم وحرس وترك حلق وبكر . وقال ان السادة ليست جمع سيد بل جمع سائد والسراة ليست جمع سري بل جمع سارٍ وعلل ذلك والظاهر انهُ يحسب ان لا مثيل لهاتين الكلمتين فكيف يعلل جمع خبيث على خبَثة وضعيف على ضعفة ولماذا لا يصح ان يقال ان وزن فعلة يجمع عليهِ فاعل مثل كافر كفرة وساحر سحرة وفعيل مثل خبيث خبثة وسري سراة (اصلها سروة) . نقول ذلك من باب مجاراة الباحث في بحثهِ وعندنا انهُ لا يصحُّ الحكم البات في هذه المسائل وامثالها الاَّ بعد درس اللغات المشتركة مع العربية او التي خالط العرب ابناءها

ولو كانت العربية لغة شعب انقطع عن كل الشعوب من اول عهدهِ ولم يؤثر فيها الاَّ المؤثرات الطبيعية التي يشترك فيها شعب واحد في صقع واحد لشاع فيها القياس وجرت مبانيها وتراكيبها على اساليب معينة لا تتعدَّاها وسهل على الباحث فيها رد فروعها الى اصولها وتعليل

اختلافاتها من غير الاستعانة بدرس لغة اخرى اما وقد اتصل العرب من اول عيدهم بالكلدان واليهود والحميريين والاحباش والقبط والروم فدخل لغتهم الوف من الكلمات الكلدانية والعبرانية والحميرية والحبشية والقبطية والرومية ومن التراكيب والتعابير ايضاً حتى ان كثيراً مما نحسبهُ من صميم العربية ككلمة "قلم" منقول اليها من لغة اخرى فالبحث في العربية على الاسلوب الذي طرقهُ المؤلف لا يفيد الفائدة المطلوبة الاَّ بعد درس هذه اللغات والتعمق فيها . نقول ذلك لا حطاً من قيمة بحثهِ ولا بخساً لقدر الفوائد التي جناها والتحفنا بها بل اشارة الى انهُ قد حان لنا ان نجاري الاوربيين في المباحث اللغوية اذا شئنا ان تكون علمية معقولة

وفي كل فصل من فصول هاتين الرسالتين ادلة كثيرة على ان المؤلف بحث بحثاً دقيقاً في كتب اللغة وجمع من الفوائد والشوارد ما يتعذَّر جمعهُ الاَّ على كبير الهمة الذي قضى السنين في تصفح امهات الاسفار والبحث فيها بعين الناقد البصير

المنهل

مجلة علمية تاريخية ادبية فكاهية تصدر في منتصف كل شهر لحضرة صاحبها ومنشئها الاديب عطيه افندي حنا

تصفحنا العدد الاول منها فرأينا فيهِ مقالة عن نقل الاميركيين سفينة مدرعة في البر مسافة ميل واخرى عن قوم برابرة يسكنون قرب مدينة باريس وبعدها مقالة عن جريدة تصل اليها الاخبار بتلغراف مركوني النشيت في جزيرة سنتا كتلينا بولاية كليفورنيا وهي تبعد عن البر ٣٥ ميلاً . ثم مقالات عن بحيرة يغلي ماؤها بحرارة بركانية وعن اغتراب المصري وعن وليم تل محرر سويسرا ويليها قصتهُ نقلاً ومتفرقات علمية وادبية وفكاهية . والمجلة كثيرة الفوائد فنتمنى لها النجاح التام

سمة الاخلاص

رسالة وضعها حضرة الكاتب الاديب امين افندي مرشاق سكرتير تفتيش قسم مشروعات الري في ترجمة صاحب السعادة اسمعيل باشا سري مفتش قسم مشروعات الري ابان فيها ارتقاء هذا المهندس الوطني بجدهِ واجتهادهِ وشرح الاعمال العظيمة التي عملها لنفع بلادهِ فخلَّد بها ذكرهُ . وقد نقلنا شرحها عنهُ في مقالة خاصَّة في هذا الجزء . وحبذا لو ذُكر كل رجل من رجال الوطن باعمال نافعة مثل هذه

اللغة المصرية العامة

لا يزال الاستاذ فسك الاميركي دائباً في نشر الرسائل المكتوبة بحروف اوربية في اللغة المصرية العامّة وقد وصلتنا منهُ الآن رسالة سماها "اجروميه مصري مكتوبا بل لسان المصري ومعها امسله" . ولو بذل الاستاذ فسك هذا الجهد في استعمال الحروف اللاتينية لكتابة العربية الجارية الآن في الجرائد السيَّارة والتي يتكلمها جمهور المتعلمين من اهالي القطر المصري لشاعت هذه اللغة وهي اقرب الى اللغة المعربة منها الى العامية ولشاع ايضاً استعمال الحروف اللاتينية وتمّت الفائدتان على اسهل سبيل اما اللغة التي يريد كتابتها وحفظها فينفر منها جمهور المتعلمين ولا ترغب الامة فيها وقد صار حفظها عسيراً بعد ان انتشرت الجرائد السيَّارة في البلاد

التقرير المتيورولوجي

The Meteorological Report.

نشرت ادارة المساحة الجيولوجية في القطر المصري تقريرها عن احوال الجو في سنة ١٩٠١ وهو شامل لارصاد الحرارة وضغط الهواء ورطوبته وشد البخار المائي وسرعة الرياح وجهتها واشكال الغيم ومقدار المطر والتبخُّر ومدة شروق الشمس واشعاعيا وحرارة الارض وحركات الزلازل والارصاد المغنطيسية . ويستفاد من هذا التقرير ان شهر يوليو كان اشد الشهور حرًّا ويتلوهُ يوليو فاغسطس فسبتمبر فمايو فاكتوبر فابريل فمارس فنوفمبر فديسمبر فيناير . وان اشد درجات الحرارة كان في شهر مايو فبلغت الحرارة ٤٣ درجة بميزان سنتغراد واخفضها في شهر يناير فبلغت اربعة اعشار الدرجة

واشد ما بلغتهُ الحرارة في مرصد العباسية في خمس عشرة سنة من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٩٨ هو ٤٥ درجة وعشران واوطأ ما بلغتهُ سبعة اعشار الدرجة تحت الصفر . وقد بلغت الحرارة في وادي حلفا ٤٧ درجة وعشرين في ٢٤ يونيو سنة ١٩٠١ وهبطت في شهر يناير الى درجتين وعشرين وبلغ متوسط الحرارة في سواكن في شهر يوليو ٣٦ درجة وبلغ اعلاها في ام درمان ٤٧ درجة واوطاها ١١ درجة واعلاها في ود مدني ٤٠ درجة وخمسة اعشار واوطاها تسع درجات ونصف درجة واعلاها في كسلا ٤٣ درجة وتسعة اعشار واوطاها ١٢ درجة وعشرين

واغرب ما في هذا التقرير ارصاد الحرارة في اديس ابابا في بلاد الحبشة فان درجة الحرارة تكاد تكون واحدة فيها على مدار السنة متوسط اعلاها نحو ٢٣ درجة ومتوسط اوطاها نحو تسع

درجات . ويقع المطر فيها على مدار السنة ايضاً ولكن يختلف ما يقع منهُ في الشهر من ١٥ ملليمترًا الى ٢٧٦ ملليمترًا وجملة ما وقع منهُ في سنة واحدة ١٢٢٨ ملليمترًا

ديوان الرافعي

اعلن حضرة الشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي انهُ عزم على طبع الجزء الثاني من ديوانهِ في اول صفر من السنة الهجرية المقبلة مفتتحاً بمقدمتهِ في سرقة الشعر وتوارد الخواطر ومشروحاً شرحاً يقصد بهِ مطلق الفائدة فيتناول اللفظ والمعنى وما يناسبهما من نكتة او نادرة او فائدة او فكاهة حتى يكون بذلك سفر ادب ممتعاً

باب المسائل

هذا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل القرّاء التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يعنى مسألتهُ باسمهِ وانقابهِ وعين اقامتهِ واضحة (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند اخراج سؤالهِ فليذكر اسمًا لنا وبحبذ حروفًا تصرح مكان اسمهِ (٣) اذا لم تخرج المسألة بعد شهرين من ارسالها الينا فليكرّرها فان لم نخرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) التوليد والبيوض

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . يقال ان كل ذي اذن ولود وكل ذي صماخ بيوض فهل ذلك كذلك وما هو تعليلهُ وهل القاعدة مضطردة لا شذوذ لها

ج هذه هي القاعدة الغالبة ولكن وجود الاذان مع الولادة علة معية لا سببية ولها شذوذ كثيرة والتقسيم الطبيعي هو ان الحيوانات الفقرية تقسم الى ثديية وطيور وزحافات فالثديية تلد كلها الاَّ نوعاً واحداً من الحيوانات الاسترالية . والطيور تبيض كلها والزحافات بعضها تلد وبعضها تبيض . والحيوانات غير الفقرية اكثرها تبيض ولكن بعضها تلد او تبيض وتلد لان صغاره تخرج من بيوضهِ وهي في جوفهِ . ولما كانت الآذان الظاهرة خاصة بالحيوانات الثديية او بالحيوانات المرئية وجدت الصفتان فيها معاً

(٢) النتائج العربية والزراعة

ومنهُ . هل التوقيعات الزراعية التي في النتائج العربية حقيقية دقيقة الوضع او هي تقريبية

ج هي تقريبية وبعضها غير صحيح مطلقاً كما يظهر لكم باقل نظر فيها اذا كان لكم المام بالزراعة

(٣) عمر آدم

ومنهُ . تبا تعللون بقاء آدم ٩٣٠ سنة حيًّا يرزق على ما ورد في التوراة

ج ان المفسرين غير مجمعين على ان كلام التوراة يؤخذ على ظاهرهِ فبعضهم يقول ان ما ذكر فيها صحيح حرفيًّا وان الناس كانوا يخافون الله و يعتدلون في معيشتهم ولم تكن الامراض والآفات قد تطرَّقت اليهم فكانوا يعيشون كل تلك السنين وبعضهم يقول ان الاشخاص المذكورين هم رؤساء قبائل او بطون والمراد ان قبائلهم او بطونهم عمرت كذلك وبعضهم يقول ان سنيهم لم تكن مثل سنينا

(٤) المطالعة والنوم عقب الاكل

ومنهُ . هل المطالعة في كتاب فكاهي او النوم عقب الاكل مباشرة يعيق الهضم

ج كلاًّ ولا سيما اذا اعتاد الانسان ذلك

(٥) بعض اللحوم

ومنهُ . من لحوم اية حيوانات يصنع السجق والبسترمه والجبون وهل تناول هذه الانواع يضرُّ بالصحة

ج ان الاخير من لحم الخنزير والاولين من لحوم مختلفة والغالب ان تصنع من لحم الغنم او البقر او الخنزير او الخيل او الكلاب او القطط حسب اتساع ذمة صانعيها . واكلها قلما يضرُّ الاَّ من فيهِ استعداد مزاجي خاص ليضرّ بها

(٦) الاحلام وتعبيرها

طنطا . شوقي افندي حبيب ناصر . ما سبب الاحلام وهل لها تعبير تكن معرفتهُ

ج الاحلام افكار غير منتظمة ولا دليل على صحة شيء ممَّا يقال في تعبيرها فان الناس لا يعلمون الغيب ولا تدل افكارهم عليهِ وهم مستيقظون فلا يعقل انهم يعلمون الغيب وتدلُّ افكارهم عليهِ وهم نيام

(٧) المحمل

ومنهُ . من استعمل المحمل الشريف اولاً وماذا كان قصدهُ من ذلك وفي اي سنة كان ذلك

ج جاء في كتاب دليل الحج الذي وضعهُ المرحوم محمد باشا صادق ان شجرة الدر ارادت الحج سنة ٦٤٥ فصُنع لها هودج كسي بالحلل فسمي المحمل ومن ثم جرت العادة ان يخرج المحمل كل عام الى الحج . اما المحمل الشامي فاول من وضعهُ السلطان سليم سنة ٩٢٣ . واما الكسوة التي ترسل من مصر فامرها قديم من عهد الملك الصالح بن الناصر بن قلاوون سنة ٧٥٠ فانهُ اشترى ثلاث قرى من القليوبية ووقف ريعها على كسوة الكعبة

(٨) كذبة ابريل

ومنهُ . ماسبب الكذب في اول شهر ابريل

ج قد ذكرنا هذا السؤال والجواب عنهُ مرارًا في الاجزاء الماضية فراجعوهُ فيها

(٩) زيادة السكان

مصر . عبد الرحيم افندي محمد . يزيد تعداد الاهالي زيادة عظيمة في هذه السنين ولم نرَ شيئًا جديدًا دخل في معيشة الفلاح ولا عنصرًا غريبًا يوجب كثرة المواليد او قلة الوفيات حتى نرجع اليهِ سبب هذه الزيادة فهل تجدون فرقًا يصلح ان يكون سببًا علميًا لزيادة سكان القرى على الخصوص

ج ان الزيادة حقيقية وسببها كثرة المواليد بتيسر امور المعيشة وقلة الوفيات بزيادة اعتناء الحكومة والاهالي بالاطفال وبالتحوطات الصحية التي تمنع فتك الامراض وانتشار الاوبئة . وبزيادة حفظ الامن . ويظهر لنا ان ازدياد الاعتناء بالاطفال من حيث تغذيتهم وتطييبهم ووقايتهم من الجدري بالتطعيم هو السبب الاكبر لزيادة السكان فقد كان ثلث وفيات كلها من الاطفال من لدن ولادتهم الى آخر السنة الاولى من عمرهم ونحو ثلثها ايضًا من الاطفال الذين عمرهم من سنة الى خمس سنوات اي كان ثلثا وفيات السكان من الاطفال الى السنة الخامسة من عمرهم وذلك سنة ١٨٨٦ اما الآن فلا نظن ان وفيات الاطفال تبلغ نصف الوفيات كلها

(١٠) اشارات الماسون

طرابلس الشام . عيسى افندي الحلو . يزعم البعض ان لاعضاء الجمعية الماسونية اشارة سرية لا يعلمها غيرهم بها يميز احدهم الآخر لاول وهلة مهما كان بينهما من تفاوت الرتبة وتباين المشرب فهل ذلك صحيح

ج نعم صحيح

باب الاخبار العلمية

الظواهر الفلكية في شهر مارس

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة	
البدر	٣	٤	٤٨	صباحًا
الربع الاخير	٩	٣	١	"
الهلال	١٧	٧	٣٩	"
الربع الاول	٢٤	١١	٣٧	مساء
البدر	٣١	٢	٤٤	مساء

السيارات

يكون عطارد نجم الصباح في اول الشهر ثم يختفي باشعة الشمس

وتشرق الزهرة قبل الشمس بساعة ونصف

ويبقى المريخ ظاهرًا في الغرب ساعة بعد مغيب الشمس

وموقع المشتري لا يصلح لرصده

وزحل نجم الصباح يشرق في ١٥ الشهر قبل الشمس بساعتين

ويكون السرطان قبل سمت الراس الساعة التاسعة مساء والسفينة قرب الافق

قوة الروس واليابان البحرية

مدار الحرب الناشبة الآن بين الروس واليابان وعمدتها الاساطيل البحرية اسطول اليابان كلهُ واسطول الروس المقيم في الشرق الاقصى. وعند الروس من البوارج والطرادات والمدفعيات خمسون سفينة عدا السفن القديمة التي لا يعتمد عليها في الحروب الحديثة. تفريغها كلها ٣٥٨٦٧٠ طنًا وهي كل ما عندها في بحور اوربا واسيا. وعند اليابان ثلاث وثلاثون سفينة من البوارج والطرادات والمدفعيات تفريغها كلها ٣٠٨٣٤٠ طنًا

وتقسم سفن الروس واليابان حسب نوعها وقوتها هكذا

(١) البوارج التي من الطبقة الاولى — عند الروس عشر متوسط تفريغ كلٍّ منها ١٢١٦٠ طنًا وعند اليابان ست متوسط تفريغ كل منها ١٤١١٥ طنًا

(٢) البوارج التي من الطبقة الثانية — عند الروس عشر متوسطها ٩٥٤٥ طنًا وليس عند اليابان بارجة من الطبقة الثانية

البوارج التي من الطبقة الثالثة — عند الروس ثلاث متوسطها ٤١٢٦ طنًا وعند اليابان واحدة تفريغها ٧٢٢٠ طنًا

الطرادات المدرعة من الطبقة الاولى — عند الروس خمسة منها متوسطها ١٠٢٦٠ طنًا وعند اليابان ثمانية متوسطها ٩٣١٠ اطنان

الطرادات من الطبقة الثانية — عند الروس تسعة متوسطها ٦٤٢٥ طنًا وعند اليابان ثمانية متوسطها ٤٥٠٠ طنًا

الطرادات من الطبقة الثالثة — عند الروس اربعة متوسطها ٣٥٠٠ طن وعند اليابان ثمانية متوسطها ٢٨٧٠٠ طنًا

المدفعيات — عند الروس تسع متوسطها ٥٠٠ طن وعند اليابان اثنتان متوسطها ٨٧٥ طنًا

فسفن الروس الحربية اكثر عددًا وقوةً من سفن اليابان وهي الدولة الثالثة في القوة البحرية لا يفوقها الاَّ انكلترا وفرنسا وتأتي المانيا معها في درجة واحدة

وما تقدم عن اساطيل روسيا يشمل كل ما عندها في اوربا واسيا كما تقدم اما اساطيلها التي في اسيا وعليها المعوَّل في هذه الحرب فهي ٣١ من البوارج والطرادات وتفريغها كلها ٢٠٠٠٠٠ طن وهي ثماني بوارج واربعة طرادات مدرعة من الطبقة الاولى وستة من الطبقة الثانية وخمسة من الطبقة الثالثة وسبع مدفعيات. ويضاف اليها نحو عشرين نسافة

وكذلك الى اسطول اليابان . فالاسطول الياباني اقوى من الاسطول الروسي الذي في المشرق من حيث العدد والسعة وقد اضيف اليهِ منذ ايام طرّادان من الطبقة الاولى فزاد بهما قوةً

وقوة الاساطيل تقوم بقوة بوارجها وطراداتها التي من الطبقة الاولى بمناعة دروعها ومقدرتها على احتمال نيران العدو وعلى مهاجمتهِ . ويقول الخبيرون بالحروب البحرية ان اسطول اليابان اقوى من اسطول الروس من هذا القبيل فان فيهِ ست بوارج وثمانية طرادات والبوارج متماثلة تماماً وكذلك الطرادات قوتها واحدة وسرعتها واحدة فاذا سارت للقتال سارت معاً ووصلت معاً وهاجمت العدو على اسلوب واحد وفي وقت واحد وكلها من احدث طراز ومن اقوى ما صُنع من نوعها ومدافعها من احدث المدافع واقواها وفي بعضها انابيب ترمي بها الترسيد من تحت الماء . وهذه السفن الاربع عشرة من البوارج والطرادات تفريغها ١٥٨٠٠٠ طن وبقابلها ١٢ من البوارج والطرادات الروسية تفريغها ١٤٢٠٠٠ . والبوارج الروسية اصغر قليلاً من البوارج اليابانية وحديثة مثلها ولكنها ابطأ منها سيراً وهي مبنية على نسق البوارج الفرنسوية واما اليابانية فمبنية على نسق البوارج الانكليزية . واقوى البوارج الروسية الزاروتش التي اصيبت بيفي المعركة الاولى واقوى الطرادات الفارياق الذي غرّقهُ قبطانهُ في شمولبو فان سرعتهُ ٢٤ ميلاً بحرياً في الساعة فهو اسرع الطرادات الكبيرة

اما من حيث الرجال فقد قال احد الثقات ان اليابانيين ابدوا في حربهم مع الصين كل المهارة والشجاعة والاقدام التي يمكن ان تنتظر من بحارة اقوى الدول البحرية . وكذلك رجال الروس يقال انهم من احذق الناس واشجعهم وضباطهم من اعلم الناس بفنون الحرب البحرية

ثم ان اليابان تحارب في بحارها وعلى مقربة من الحياض التي تصلح فيها سفنها وتأخذ النجم منها وهذه مزية كبيرة لها على الروس في هذه الحرب

ومما تلام روسيا عليهِ ان حكومة شيلي كانت تبني بارجتين من الطبقة الاولى في بلاد الانكليز وحكومة ارجنتين كانت تبني طرادين من الطبقة الاولى في ايطاليا فلما عُقد الصلح بين هاتين الحكومتين واتفقتا على تنقيص عمار تيهما عرضت شيلي بارجتيها للبيع وكذلك عرضت ارجنتين طراديها للبيع وطلبت روسيا مشترى البارجتين والطرادين وجعلت تساوم في الثمن . ولو اشترت هذه السفن الاربع لفاقت قوتها قوة اليابان في الشرق الاقصى ولكن وكلاءها الذين فوضت اليهم شراءها تهاملوا وتباطأوا فسبقتها انكلترا واليابان الاولى اشترت البارجتين والثانية اشترت الطرادين ووصل الطرادان الى بلاد

اليابان في ١٦ فبراير فزادت بهما قوة اليابان قوةً لانهما من اقوى الطرادات ولو لم يكونا من اسرعها

الفحم الحجري في اليابان

من اهم ما تعتمد عليهِ اليابان في حربها مع الصين كما تعتمد عليهِ في صناعتها وتجارتها الفحم الحجري فانهُ كثير في بلادها واغنى مناجمهِ في جزيرة يزو التي يخشى اليابانيون ان يستولي الروس عليها . وعندهم شركة صناعية تجارية وهي من اغنى الشركات الصناعية التجارية في الدنيا رأس مالها مليونا جنيه وتوزع ربحاً في السنة من عشرين الى ثلاثين في المئة فاذا حسبنا الربح الذي توزعهُ ٢٥ في المئة وقوَّمناها حتى يكون الربح خمسة في المئة بلغت قيمة رأس مالها عشرة ملايين من الجنيهات . ويقال ان في المناجم التي تمتلكها ٢٥٠ مليون طن من الفحم الحجري وهي تجري في استخراجهِ على احدث الاساليب العلمية المتَّبعة في اميركا فتخرق المناجم وتقتلع الفحم منها بقوة الهواء المنضغط لا بقوة البارود والديناميت وتنيرها بالكهربائية وتسيِّر المركبات فيها بالهواء المنضغط . وعند هذه الشركة سكك حديد لنقل فحمها من المناجم الى المرافئ طولها ٢١٢ ميلاً . وبلاد ينهض اهلها في ثلاثين سنة ويؤلفون مثل هذه الشركة لجديرة بان تعد بين ارقى البلدان

الوفيات وتقدُّم الطب

ثبت بالاحصاء في الولايات المتحدة الاميركية مدة السنوات العشر الاخيرة ان الوفيات بالذبحة قلت من ٢٧ في المئة الف الى ١٠ وبالتيفويد من ٤٦ الى ٣٣ وبامراض الدماغ من ٣٠ الى ١٨ وبالتهاب الشعب من ٧٤ الى ٤٨ وبكوليرا الاطفال من ٧٩ الى ٤٧ وبالحمى الملارية من ١٩ الى ٨ وبالشهقة من ١٥ الى ١٢ وبهزة الحائط من ٥٦ الى ٣٣ وبالقرمزية من ١٣ الى ١١ . ولكن زادت الوفيات بالسرطان من ٤٧ الى ٦٠ وبالسكتة من ٤٩ الى ٦٦ وبالبول السكري من ٥ الى ٩ وبامراض الكليتين من ٥٩ الى ٨٣ فالنقصان اكثر كثيراً من الزيادة ولعل سبب الزيادة ان بعض الذين ينجون من الامراض الاخرى يعمرون يتعرضون للامراض التي زادت وفياتها . ولا شبهة في ان قلة الوفيات نتجت من تقدم صناعة الطب وحفظ الصحة

الراديوتلوريوم

استخرج الاستاذ مركفلد النمسوي مادة جديدة سماها راديوتلوريوم تخرج منها اشعة كهربائية شديدة الفعل جداً . وكل ما استخرجهُ منها اربعة مليغرامات استخرجها من طنين من البتشبلند وهو يظن انها عنصر بسيط . وتمتاز هذه المادة على الراديوم في ان اشعتها كلها من نوع الاشعة a من اشعة

الراديوم وفي ان قوتها تبقى على حالها ولا تضعف مثل اشعة البولونيوم

اشعة بلندلو

ذكرنا غير مرة ان المسيو بلندلو اكتشف اشعة جديدة سماها اشعة N نسبة الى نسبي المكان الذي اكتشفها فيهِ ونسب اليها افعالاً غريبة جدًّا وقد تلا العالم لومر في جمعية برلين الطبيعية مقالة مسهبة بيَّن فيها ان كل ما رآهُ بلندلو ونسبهُ الى هذه الاشعة غير حقيقي اي لا حقيقة لهُ في الخارج بل هو وهمي يخيَّل لهُ كذلك . وكتب العالم برك الى جريدة ناتشر في ٨ فبراير يقول انهُ جرَّب التجارب التي ذكرها المسيو بلندلو فلم يرَ شيئًا مما رآهُ بلندلو وهو مع ذلك يظن ان الاشعة حقيقية وان المسيو بلندلو رآها حقيقةً . وفي ذلك اليوم عينهِ قرَّر المسيو بيشات في اكادمية العلوم بباريس ان اشعة N تجري على بعض الاسلاك كما يجري النور في الانابيب العقفاء بانعكاسهِ من نقطة الى نقطة ولكنها لا تجري على اسلاك كل المعادن بل على بعضها فتجري مثلاً على اسلاك النحاس ولكنها لا تجري على اسلاك الرصاص

قرد ثمين

كان عند احد اصحاب المشاهد قرد مشهور بالذكاء وقد امَّن حياتهُ على خمسة وعشرين الف جنيه . توفي في مدينة برلين في الخامس عشر من شهر فبراير فطيَّر البرق منعاهُ الى باريس ولندن وغيرها من مدن اوربا واميركا . وكان لهُ طبيب خاص بهِ يرافقهُ في الحل والترحال لان صاحبهُ كان يربح منهُ من ٢٠٠ الى ٣٠٠ جنيه كل اسبوع . ويقال ان الاطباء حنطوا جثتهُ لترسل الى باريس حيث يحتفل بها مدة اسبوع قبل دفنها . ولا بدَّ من ان يكون غرض صاحبهِ من ذلك زيادة الربح وزيادة الشهرة

قاموس علمي هندي

يهتم الهنود الآن بتأليف قاموس في لغتهم للمصطلحات العلمية من رياضية وطبيعية وفلكية وما اشبه وقد اختصروا بعض الاسماء العلمية فسموا الكربون "كرب" والفصفور "صفور"

الحياة قبل الولادة

كتب المستر سنوت صاحب مجلة الآراء الحرَّة ان الناس العائشين الآن في الدنيا كانوا عائشين فيها منذ ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ سنة وان نفس كل طفل يولد الآن كانت في انسان آخر عاش ومات منذ نحو الفي سنة وان بعض الناس يتذكرون حوادث حياتهم الاولى ومن هذا القبيل الدكتورة انا كنجسفورد فانها تقول ان نفسها نفس افلاطون . ومسز بزنت فانها تقول ان نفسها نفس هباشيا العالمة الاسكندرية . ولا ندري من اين يأتي

بالنفوس الكافية للناس العائشين في الدنيا الآن فانهم اضعاف ما كانوا منذ اثني سنة الاَّ اذا ادعي ان النفوس تتكاثر بالولادة او بالتجزء كالحيوانات والنباتات

اصلاح الآلات البخارية

كانت نتيجة التحسين المستمر في الآلات البخارية انهُ يستخرج الان من الفحم الحجري ثلاثة اضعاف القوة التي كانت تستخرج منهُ منذ ستين سنة

تطهير اللبن بالكهربائية

صنع الالمانيون آلة فيها اناءان يوضع اللبن في احدهما ويفرَّغ منهُ الى الآخر وتمرُّ بهِ شرارات كهربائية وهو يفرَّغ فتولَّد فيهِ اوزونًا يقتل كل ما يكون فيهِ من ميكروبات الامراض وينقيهِ منها

استئصال الجرذان

اكتشف الدكتور دنيز من مستشفى باستور في باريس ميكروب مرض يميت الجرذان دون سواها من الحيوانات. يربّي هذا الميكروب في مرق اللحم ويبل الخبز بهِ ويطرح للجرذان فتأكلهُ وتمرض وتموت

السمك الاعمى

أُتي الى معرض التاريخ الطبيعي في كنستون بسمك اعمى من كهوف في جزيرة كوبا. ولا شبهة في ان الكهوف التي وجدت فيها هذه الاسماك كانت متصلة بالبحر ثم انقطع الاتصال بينها وبينهُ ولما كانت محجوبة عن النور ضعفت عيونها رويدًا رويدًا حتى صارت أثرية ويهتم العلماء الآن في تقدير الزمن الذي انفصلت فيهِ تلك الكهوف عن البحر ليعلم كم اقتضى لاسماكها حتى فقدت عيونها

سرعة التصوير للجرائد

لما جرى سباق اليخوت في اميركا في الصيف الماضي ارسلت جريدة نيوارك الاميركية مكاتبًا من مكاتبيها الى مكان السباق فصور اليخوت التي اشتركت في السباق بآلة التصوير الشمسي واظهرها وهو على ظهر السفينة في نور النهار ولفها وربطها تحت جناح حمامة من حمام الزاجل واطلقها فطارت الى مطبعة الجريدة في نيوارك على بضعة عشر ميلاً ونزعت الصورة من تحت جناحها وحفرت وطبعت في ذلك اليوم عينهِ

كوريا

يظهر موقع كوريا الجغرافي وشكلها من النظر الى الشكل الذي نشرناهُ في المقالة الاولى. ومساحة البلاد ٨٢ الف ميل مربع وعدد سكانها غير معروف تمامًا ولكنهُ يقدَّر بين عشرة ملايين وستة عشر مليونًا وعاصمتها سيول عدد سكانها مئتا الف نفس. وكانت كوريا تابعة للصين الى سنة ١٨٩٤ وكانت الصين تتولى كل مسائلها الخارجية وستة

١٨٩٤ قامت اليابان وطلبت تغيير تلك الحالة ومشاركة الصين في ادارة امور كوريا لانهُ كان لها فيها مصالح مالية لا يسعها الاغضاء عنها فرفضت الصين ذلك ونشبت الحرب بينها وبين اليابان فاجلت عن استقلال كوريا عن الصين وتحالفها مع اليابان. واليابان تتناول من كوريا كثيراً من مواد الطعام ومن المواد الاصلية لصناعتها فانها جبلية زراعية ومعدنية فتكثر فيها حاصلات الزراعة ومعادن الارض

وملك كوريا كهل عمرهُ نحو ٥٤ سنة وهو يعرف تاريخ بلادهِ اتم معرفة ولهُ اطلاع على كل الكتب العلمية والادبية التي تُرجمت الى لغتها ولكنهُ يجهل اللغات الاوربية وحكومة بلادهِ استبدادية على نوعٍ ما وتكاد ازمتها تكون في يد وزرائهِ ونسائهِ او كبير الوزراء وكبيرة النساء. وكبيرة النساء هذه ليست من بيت الملك بل كانت رفيقة رجل صيني ثم رفيقة وزير من وزراء كوريا واخيراً دخلت قصر الملك جارية عند زوجتهِ الملكة وارتقت بذكائها ومهارتها وهي تحسن اللغة الكورية واللغة الصينية ايضاً قراءةً وكتابةً فقربتها الملكة اليها وجعلتها من اخص جواريها ونظر اليها الملك كما نظرت اليها الملكة فغارت الملكة منها وابعدتها عنها. ثم لما قُتلت الملكة سنة ١٨٩٥ عادت هذه المرأة الى القصر وصارت من اقرب نساء الملك اليهِ

وسبعة اعشار السكان فلاحون والصناع فلاحون ايضاً فاذا لم يستطع الصانع ان يحرث ارضهُ ويزرعها يبدو حرثتها امرأتهُ واولادهُ. والباقون تجار او باعة او معدّون او بحّارة او خدم في مصالح الحكومة

ويزرع في كوريا والارز والتبغ والقمح والشعير والدخن والقطاني على انواعها ويصدر منها كثير من الارز والفول وتصاد الحيتان من بحورها. وفيها مناجم غنية من الذهب أُعطي امتيازها لشركات اميركية وروسية والمانية ويابانية وانكليزية وفرنسوية وفيها ايضاً مناجم من النحاس والحديد والفحم الحجري وهي كثيرة وغنية

ولها تجارة واسعة مع انكلترا وروسيا والصين واليابان وقد كانت سنة اعشار وارداتها من انكلترا وثلاثة اعشارها من الصين واليابان اما الآن فصار جانب كبير من وارداتها من اليابان. والذهب المستخرج منها يزيد سنة بعد سنة فقد كانت قيمتهُ مئتي الف جنيه سنة ١٨٩٧ فصارت ٢٣٧ الف جنيه سنة ١٨٩٨ و٢٩٣ الف جنيه سنة ١٨٩٩ و٣٦٣ الف جنيه سنة ١٩٠٠ و٤٩٩ الف جنيه سنة ١٩٠١ و٥١٧ الف جنيه سنة ١٩٠٢. وبلاد غنية الى هذا الحد بخيراتها الطبيعية يكون غناها نعمةً لها او نقمةً عليها حسب همة اداليها واقتدارهم على الانتفاع بخيرات بلادهم والاستثمار بها او خمولهم

واستسلامهم للطامعين فيهم

وفيها سكة حديدية من سيول العاصمة الى شمولبو طولها ثلاثون ميلاً وهي لشركة يابانية واخذت شركة يابانية امتيازاً بسكة اخرى طولها ٣٠٠ ميل من فوزان الى سيول مدّت جانباً منها . وفي انهار كوريا بواخر صغيرة لليابانيين وفي عاصمتها الترام الكهربائي والتلفون وفي البلاد كلها اكثر من الفي ميل من التلغراف . ويظهر من ذلك كله انهُ اذا انضمّت هذه البلاد الى اليابان واتحدت معها اتحاد سكتلندا بانكلترا صارت مملكة اليابان من اغنى الممالك واقواها

احتراق مكتبة تورين

اضطرمت النار من سلك كهربائي في مكتبة تورين في السادس والعشرين من شهر يناير الماضي فاحرقت جانباً كبيراً منها وفي جملة ما احترق ٣٧٠٠ كتاب من كتب الخط باللغات الشرقية وثلاثة آلاف مجلد باليونانية واللاتينية والمجموع البندقي الذي كان في مكتبة الكردينال دلاروثري . وكان في هذه المكتبة ٣٦٠ الف مجلد من الكتب المطبوعة فاحترق مئة الف كتاب منها . ومما حرق كتب بيت ملوك سافوى وكتب الخط العربية والفارسية والقبطية والعبرانية واليونانية واللاتينية . ويُعد احتراق هذه المكتبة من اكبر الخسائر التي خسرها العلم وخسرتها ايطاليا

النار في بلتيمور

شبَّت النار في مدينة بلتيمور باميركا في السابع من فبراير واستمرّت الى اليوم التالي فدمّرت من المباني ما يساوي مئة مليون ريال ولكن لم يمت بها احد من السكان . وبلتيمور من امهات مدن اميركا عدد سكانها نحو ستمئة الف نفس

صادرات القطن الاميركي

بلغت قيمة القطن الذي صدر من اميركا في العام الماضي ٦٣ مليون جنيه

الراديوم والماء

جاء في جريدة الطب الهيسوباثي انهُ اذا وضعت انبوبة فيها قليل من الراديوم في اناء فيهِ ماء اكتسب الماء خاصّة الاشعاع والمظنون ان فعلهُ يصير مثل فعل الراديوم

آلة الطيران

صنع الخواجات اورفل وربط آلة ميكانيكية للطيران واجريا على قضيب من قضبان سكة الحديد المفردة مسافة اربعين قدماً فصعدت في الهواء وسارت ضد ريح سرعتها ٢٥ ميلاً في الساعة وكان معدل سرعتها عشرة اميال في الساعة فكأنها سارت بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة والمسافة التي سارتها ٨٥٢ قدماً فقط ثم نزلت الى الارض من غير ان ينالها مكروه

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين

١٩٣ الحرب بين الروس واليابان (مصوَّرة)
٢٠١ لباس الراس · لمحمد افندي كرد علي
٢٠٦ الخصومة والقضاء عند العرب · لامين افندي ظاهر خير الله
٢١١ مدارس الامة في المانيا · لابرديم افندي عطا
٢١٤ خزان اصوان وبحيرة مورس (مصوَّرة)
٢٢١ جبار الاخطبوط (مصوَّرة)
٢٢٦ اسمعيل باشا سرتي والري الحيني (مصوَّرة)
٢٣١ خطر علينا وعلى الدين · لعبد القادر افندي حمزه المحامي
٢٤٠ العلم في العام الماضي
٢٤٣ الامير بشير الشهابي

٢٤٧ باب المراسلة والمناظرة * ردّ على ردّ وانتقاد · الجهر والسماء · اقتراح
٢٥١ باب الزراعة * المعرض الزراعي · تجربة المزارعين البحاريين
٢٥٩ باب تدبير المنزل * تمريض المرضى
٢٦٣ باب التقريظ والانتقاد * ديوان التهاويدي · رسالة المعملة ورسالة جيد · المثل · صحة الاخلاص · اللغة المصرية العامة · التقرير الحيوروليوجي · ديوان الرافعي
٢٧٠ باب المسائل * الولود والبيوض · النتائج العربية والزراعة · عمر آدم · المطالعة والنوم عقب الاكل · بعض اللحوم · الاحلام وتعبيرها · الحمل · كذبة ابريل · زيادة السكان · اشارات الماسون
٢٧٣ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٨ نبذة

رواية ابليس السري ملحقة بالمقتطف

الفصل السادس

قلعة شلسلبرج

في احدى الجزر المتجمعة على مصب نهر نيفا ابنية عديدة محشودة لا يؤذن لسوى زورق واحد في الدنو منها. واحد هذه الابنية العظيمة قلعة شلسلبرج الهائلة او احد السجون الذي يلقى فيهِ المأخوذون بالتهم السياسية. ومنها بناء آخر يدعى قلعة القديسين بطرس وبولس وقد وصف كاتبٌ اميركيٌّ قلعة شلسلبرج بقولهِ: —

"انَّ حراسها منتشرون على شاطىء الجزيرة في نقط متقاربة بحيث يستطيعون أن يكلموا بعضهم بعضاً. وهم مأمورون أن يطلقوا النار على كل من حاول الاقتراب من القلعة دون ان يسبق ذلك انذار او يتقدمهُ سؤال. وعندما تطأ قدم غريب حافة الشاطىء يسددون البنادق صوبهُ ويثبون بالرصاص قلبهُ فتسقط جثتهُ الى النهر وتطفو عائمة على البحر ويذهب دمهُ هدراً. وانما يجوز لزورق واحد ان يأتي الجزيرة وهو مصبوغ اسود وتحت امرة البوليس خاصة ولم يرجع قطُّ واحدٌ من الذين قضى عليهم سوء الحظ بالسجن في تلك القلعة والشائع عند الاكثرين انَّ كلَّ من يساق اليها لا يعود منها سالماً الاَّ للذهاب الى سيبيريا"

فالى هذه القلعة جيء بالامير لاديسلاز وفي مساء اليوم الذي فيهِ كلامنا جلست الاميرة كاريتا في ذلك الزورق (زورق البوليس) قاصدة القلعة ومعها ضابطان

فلما بلغت مدخلها لقيها قسيس السجن وكان قد جاء الى هذه القلعة من عشرين سنة يصلي للنبيلات المسجونين ويقوم امامهم بفروض الدين. فاستقبل الاميرة منقبضاً وحياها وقال: —

— تشجعي يا ابنتي وتجلدي. ان اخاكِ الامير مريضٌ جداً. فانهُ عند وصولهِ اودعوهُ اوطأ مكان في القلعة حيث ناشتهُ غوائل البرد والرطوبة ونشبت في جسمهِ الغض الناعم اظفار العفونة والفساد. اذاً استعدي للاقاة تغيُّر عظيم فيهِ

— ويلاهُ؟ هل مات؟

— كلا يا ولدي

— اذاً هو في حالة النزع؟

— نحن في يدي الله؟

فاخذت بكمهِ وقالت: — قل لي بعيشك قل لي يا أبتِ المحترم اما سقوهُ سمّاً؟

فرسم الكاهن علامة الصليب على وجههِ وقال: نحن يا ابنتي في يدي الله. تعالي معي

وانظريه . فقد نقلوهُ الى الطبقة العليا

وكان الامير لاديسلاز قد نُقل الى غرفة عالية تشرف على المدينة وانوارها تتألق على وجهِ الماء تألق الكواكب في السماء . فبرح الخفاء لدى الاميرة حينما رمقت جسمهُ الشاحل المتحل وابصرت ظلّ الموت مخيماً على عينيهِ حتى انهُ بالجهد استطاع ان يعرفها . ثم تكلف الجلوس بمشقة شديدة وقال لها بصوتٍ خافتٍ : —

— كاريتا اين نادين ؟

— لاديسلاز — اخي — واحرقة كبداه ؟ ماذا أُخبرك بل بمَ أُجيبك على هذا السؤال ؟ ثم جثت على ركبتيها بجانب اخيها . اما هو فرفع نفسهُ بجهد عنيف مرّة ثانية واتكأ على جنبهِ وقال : —

— اين هي ؟ لماذا لا تجيبيني ؟ أجيبي يا اختاهُ . هل قتلها ايضاً ؟ نعم ! نعم ! ماتت نادين ! أليس الامر كذلك ؟ فلم يجاوب بسوى تنهدات تلك المسكينة المنكسرة القلب المضغوطة باثقال الحزن والكرب . ثم أسرّ اليها بنفسٍ متقطع وفكرٍ متضعضع : —

— كاريتا . تنتقمين لنا انتِ والكسس ؟ اصغي اليّ . اني أُخذتُ بمكيدة جون فاين لانهُ سرق الكتاب من عندك ولا اعلم — او لا يهمني ان اعلم — كيف تمكّن من ذلك . والكتاب الآن عند كيراتيف . فاحلفي لي انك تنتقمين من ذلك الغدّار وتأخذين بثاري وثأر نادين :

— احلف لك يا شقيق الحياة اني سانقطع للأخذ بثأركما حتى تدركني الوفاة

— شكرًا لله ! اقتربي اليّ اكثر . لا أقدر أن اراكِ . لكنك انت هنا ايها الاب المحترم . اليس —

ثم انتهت عبارتهُ بتنهّدٍ عميقٍ اختطفتهُ اختهُ من فيهِ بقبلةٍ يكفي لوصفها قولنا انها قبلة شقيقة لشقيق . وعندها قضي الامر وتوفي الامير لاديسلاز

وفي الساعة الثانية عشرة (نصف الليل) بلغت أُختهُ الشاطئ راجعة من القلعة

الفصل السابع

انتقام امرأة

وفي اليوم التالي جلس رئيس البوليس ديمتري كيراتيف في ديوانهِ يراجع الوقائع الحادثة منذ ايام . ولم يسرّهُ سير تلك الحوادث لان قيامهُ بوظيفتهِ كرئيس الفرقة الثالثة المخيفة كان

يفرض عليهِ اقتحام الاخطار وركوب الاهوال ولم يخفَ عليهِ انهُ هو نفسهُ كان آلةً للانتقام السري الذي تحتمَّ عليهِ اجراؤهُ والاَّ أتهم بمشايعة زعماء النيهيلست الحاضرين في كل مكان (في روسيا). وفيما هو جالسٌ متفكرًا مشمئزًّا ولاسيما من هول حادثة الامير لاديسلاز التي جرت على طريقةٍ وحشية لم يسبق لها نظير اذا باحد القائمين بين يديهِ قد عرض عليهِ اسم الاميرة كاريتا طالبة الاجتماع بهِ

واذ لم يجد سببًا يبعثهُ على رفض طلبها بل رأى بواعث كثيرة تدعوهُ الى اجابة ملتمسها أمر بادخالها. ولم تلبث ان دخلت وجلست على كرسيٍّ مقابلهُ واخذا ينظران احدهما الى الآخر ساكتين فافتتح الكلام بقولهِ: —

— ماذا عسى ان استطيع فعلهُ لسموّ الاميرة؟

— انك قادرٌ على فعل اول وآخر معروفٍ يتوقعهُ منك كل عضوٍ من اعضاء عائلتنا جزاء لكلٍّ او لواحدةٍ من الايادي التي لنا عليك

كل ما اقدر عليهِ افعلهُ للاميرة غالتزن بمزيد الرضى والسرور

— حسنٌ وهاك ما اريد. فليس يخافُ عليك ان اخي مات الآن وقد قُبض عليهِ بسبب امراتهِ التي انحصر العلم بوجودها فيما بيني وبينك. وقد ماتت هي وطفلها ايضًا على ذراعيَّ بعد ما أُخذ عنها لاديسلاز باربع وعشرين ساعة فما اطلبهُ منك هو الرقيم الذي قُبض عليهِ بسببهِ

— ايتها الاميرة. اني انكر وجود رقيمٍ سبَّب القبض على الامير لاديسلاز ولكن حب انهُ موجود فلا يعني ان اجيب طلبكِ لان اوراقًا كهذه — اذا وجدت — يترتب عليَّ حفظها بضبط لاني مسؤولٌ عنها واذا فقدت مني جوزيتُ عنها بجواز ذئب[1] ومعلوم عندك ان الشغل الشاق في معادن سيبيريا مدة حياتي ليس بالامر السهل عليَّ

تمهَّل عليَّ دقيقة فابرهن صحة كلامي. ان الامير لاديسلاز قُبض عليهِ بسبب رقيمٍ جاءهُ من دورسكي زعيم النيهيلست وهذا الرقيم سُرق مني وأُعطي لك من احد وكلائك الغرباء جون فاين. فبكل حقوق المعروف اطلب منك هذا الرقيم الآن.

— ايتها الاميرة. لستُ في مقام يدعوني الى الحكم في صحة كلامكِ ولست أرى قوةً تخوّلك حق طلب هذا الرقيم مني او الاطلاع على علاقة جون فاين بهذه الادارة. فاذا لم يكن عندكِ شيءٌ آخر وجدتُ نفسي مضطرًّا ان استأذنك في الانصراف من هذا الاجتماع الذي يؤلمني — صدقيني — قدر ما يؤلمك

(١) هذا الجواز يعطاهُ من يحكم عليهِ بالنفي الى سيبيريا

فظلت الاميرة بضع دقائق ساكتة لا تفوه بكلمة . ثم فتح عليها بما رأته اقوى وسيلة تمكنها من نيل مأربها فالتفتت الى كيراتيف وكان قد تحفز للوقوف متوقعاً ختام هذه الجلسة وقالت : —

— اي ديمتري كيراتيف . لستُ اقول شيئاً من جهة العلاقة التي بين عائلتينا ولكني ارفع دعواي اليك كرئيس بوليس روسيا الذي اصبح مستودع اسرار عائلات كثيرة وقلما تجري حادثة غريبة خطيرة لا يحيط بها علماً . وسأقصُّ عليك حادثة محزنة لم تسمع قط بمثلها فارعني سمعك : —

وبعد ساعة — عند فراغها من سرد قصتها — نهض رئيس البوليس من مجلسه وذهب الى خزانة من حديد وفتحها واخرج منها الرقيم واعطاهُ للاميرة وقال : —

— انَّ ما قصصتهِ عليَّ الآن اقنعني كل الاقناع بأن لكِ حقًّا صريحاً في طلب هذا الرقيم فانهُ كتابٌ اختلسهُ منك جون فاين الانكليزي . ولتطب نفس الاميرة لان هذا الرجل سيبرح هذه البلاد في الحال ولن يعود اليها الى الابد . وبعد ثلثة ايام يجتاز تخوم روسيا

فودعتهُ وخرجت تقول : — اخيرًا ! اخيرًا ! حصلت على المراد . فالثارات لاديسلاز ونادين ! شكرًا لك يا الهي شكرًا لك

وبعد خمسة ايام شاع في بطرسبرج ان جون فاين الذي كان فريدة عقد السراة الاماثل وزينة الاعياد وبهجة المحافل طلع عليهِ اللصوص عند تخم بولونيا فكسروا مركبتهُ وقتلوهُ . ولما بلغ هذا الخبر الاميرة كاريتا جثت على ركبتيها وصرخت الى الله مرددة قولهُ : — لي النقمة ! لي النقمة ! انا أُجازي يقول الرب !

الفصل الثامن

حفلة تنكر

كانت حفلة التنكر العظيمة في مرسح فينا ليلة ١٥ اغسطس سنة ١٨٧٦ في إبان انعقادها وقد بلغت اعظم ما يُعهد لنظيرها من حشد القوم وازدحام الاقدام حتى كنت ترى ذلك المكان كلهُ داخلاً وخارجاً في اسافلهِ واعاليهِ غاصًّا بالقائمين بملابس التنكر رجالاً ونساء . فهنا في ردهاتهِ وهناك في اروقتهِ وهنالك في شرفاتهِ قومٌ يروحون ويجيئون قائمين قاعدين قامصين راقصين غير تاركين نوعًا من الازياء الغريبة المضحكة في الملابس الاَّ وقد مثلوها على اختلاف في المقاصد وتباين في الخازع فالبعض اتوا ذلك متمتعين بالمسرَّات الناتجة عنهُ والبعض اتخذوهُ وسيلةً للحصول على ما يكسبهم متعة السرور والبعض الآخر تكلفوا التمتع اي تظاهروا بانهم

متمتعون بتلك الالعاب المجونية والتسالي الهزلية

وقد كان ذلك المشهد على قول الرواة بهجاً سارًّا الى الغاية . على انهُ ما لم يكن الانسان مصحوبًا فيهِ بعددٍ من اخوانِ انسهِ وهنائهِ واخدانِ سرورهِ وصفائهِ او لهُ على الاقل علاقة خاصة تبعثهُ على الاهتمام بمقاسمة ما يعرض فيهِ من صور الالعاب واشكال التمثيل كان يبدو لهُ ذلك المعرض من اكبر الموحشات واعظم بواعث الانزعاج والانقباض ودون كل وسائل اللهو بهجةً ورونقًا

ولم يكن بين جميع الحضور رجلٌ نظر الى ذلك المرسح العظيم بعين المقت والاستكراه نظير او بين غودَارد قائد الفرقة العشرين من الفرسان سابقًا ورسول الملكة حاليًا

وكان هذا القائد ذا هيئةٍ فاتنة ساحرة وملاحة لقلوب ربَّات الجمال آسرة . طويل القامة يقتصر لديهِ اطول الرجال وعريض المنكبين كأحد الجبابرة الابطال . يكسو رأسهُ شعرٌ اثيث جميل و ينبثق من محياهُ الباهي نورُ ذكاءٍ لا يدع الى الريب في توقد ذهنهِ من سبيل . ولهذا وجد نعمةً في عيون اكثر المتنكرات واصبح فتنة اللواحظ الساحرات الفاتنات ومبعث سباق القلوب اليهِ ومدعاة تحويم النفوس عليهِ

على انهُ كان خالي الذهن من هذا الاهتمام ذاهلاً عن هذا السباق والزحام مشيحًا بنظرهِ عن هذا الامر الواضح الجلي ولسان حالهِ يقول ابن الشجيُّ من الخلي لاناقتي في هذا ولا جملي . وهو قائم في مجلسهِ منتابًا متمطيًا يراقب حوادث تلك الحفلة العارضة بعين الفتور والتراخي ويعجب كل العجب من الصدفة التي اوجدتهُ هناك في مثل هذا الوقت الذي كان يفضل ان يكون فيهِ مضطجعًا على فراشهِ . لانهُ كان قد قدم فينًا في المساء الماضي رسولاً من قبل ملكة انكلترا وفي الصباح سلَّم الرسائل لنظارة النمسا الخارجية وعزم على السفر بعد ظهر اليوم المقبل

وكان الجوُّ السياسي في مدة الخمس سنين الماضية قاتمًا مكفهرًّا لما تلبَّد فيهِ من سحب المسألة الشرقية المطبقة التي أخذت تتجمع منذ سنة ١٨٧١ في سماء الشرق الادنى حتى تراءى انها موشكة ان تكتنف شبه جزيرة البلقان وتمطرها وابلَ حربٍ عوان تدمرُ مساكنها وتخليها من السكان . وقد افضت الى اصدار "لائحة اندراسي" الشهيرة في شهر دسمبر عام ١٨٧٥ فقلقت لها اوربا باسرها واضطربت نفوس مشاهير ساستها ووجفت قلوب ملوكها وعظمائها وانقضى عام ١٨٧٦ في المفاوضات بين لندن وبرلين وفينا والاستانة وحينئذٍ اصبحت حاجة الدول الى رسل اكفاء وسفراء امناء شديدة جدًّا . واذ كان القائد اوبين غودَارد اهلاً لهذه الخدمة دعي اليها من قبل جلالة ملكة انكلترا وعُيِّن رسولها الخاص الى تلك العواصم

لانهُ كان قد قضى السنين الطوال في التضلع من لغات اوربا والاحاطة بشوارد سياستها . وعلى اثر الحوادث التي جرت في البلغار زاد العالم السياسي اضطراباً واوجس خوف حرب هائلة عامة فاسرعت الدول الى تلافي الخطب بعقد مؤتمر في الاستانة في شهر يناير سنة ١٨٧٧ . وهكذا وجدنا القائد اوبين غودارد في فينا في شهر اغسطس سنة ١٨٧٦ اي قبل عقد المؤتمر بنحو خمسة اشهر

واذ كان رسول الملكة وحامل اوامر مهمة لم يستصوب اظهار نفسهِ لاصحابهِ ومعارفهِ في عاصمة النمسا فلزم جهدهُ جانب العزلة والانفراد وبعد ما سلَّم الرسائل طلب لنفسهِ تنزهاً ممتزلاً في احدى المركبات . ثم رجع متثاقلاً بين يدي السآمة والضجر لا يدري كيف يشغل وقت فراغهِ ويقضي ساعات الليل المقبل والنهار التالي الى الوقت المعين لرجوعهِ الى النظارة الخارجية واخذهِ منها اجوبة رسائلهِ

لكنهُ لم يبلغ الفندق الذي كان نازلاً فيهِ حتى أُجيب سؤلهُ بكتابٍ دفعهُ اليهِ خادمُ عند دخولهِ فتناولهُ وأخذ يقلبهُ متحيرًا ماذا عسى ان يكون وممن اتاهُ لانهُ لم يعلم احدًا بقدومهِ . ولم يستطع ان يتعرّف الكاتب من خط العنوان اذ كان غير مألوفٍ لديهِ ولا معروف عندهُ وهذا نصهُ : — الى الشريف القائد اوبين غودارد

هذا فضلاً عن انهُ لم يكن فيهِ من دلالة تشير الى كتابتهِ يد رجل او امرأة . واخيرًا رأى ان حلَّ هذا اللغز انما يكون داخل الغلاف ففتحهُ واذا داخلهُ خاوٍ خالٍ لا يتضمن شيئًا سوى " ورقة دعوة " الى حفلة " التنكر " المعقودة في مساء ذلك اليوم

فقال في نفسهِ " مهما يكن في الامر فاني ذاهب وليس من محذور في هذا لاني اعرف كيف احفظ نفسي ولا ريب في ان من دعاني او دعتني (؟) الى هذه الحفلة سوف يستعلن او تستعلن لي هناك "

وبناء عليهِ قام بعد العشاء وخرج فاذا بالشوارع مزحومة بالذاهبين الى تلك الحفلة المعقودة والندوة المشهودة والمركبات تخبُّ الى ذلك المرسح مرصوصةً بالركّاب رصًّا وغاصة بها الازقة غصًّا فركب احداها وجاء الى باب " الملعب العظيم " ودخل وجلس الى ان رأيناهُ يثاب متمطيًا كما مر معنا

وكانت الحفلة اذ ذاك في معظم القيام والالعاب على غاية عرضها وقد مالت نحو الختام . واخذ البعض ينصرفون والبعض يستعدون للانصراف ومنهم صاحبنا او بين غودارد وبينما كان يتمطّى مودّعًا الحفلة بالنظرة الاخيرة شأن العازم على الذهاب اذا بامرأة جازت مقابلهُ

فنظر اليها وشاهد منها قدًّا رشيقًا كالغصن يتأوَّد قائمًا في مطرف حريري اسود يوشك ان يسيل رقةً و "يكاد من اللطافة يعقد" وقد أسدلت على نصف محياها قناعًا اشدَّ سوادًا من خافية الغراب ترشق من ورائهِ سهام الحاظٍ تصمي القلوب وسحر اجفانٍ يخلب الالباب

وفيما غودارد يتمتع بمشاهدة هذه الذات المجمَّلة بابدع المحاسن استمال نظرهُ عروض رجلٍ يحجلُ وراءها متأثرًا لها وهو متنكرٌ بزيّ ماجنٍ ولابسٌ "وجهًا لهُ من كل قبيحٍ برقعٌ" وبعدما توارت المرأة بين الجمع أبصر غودارد ذلك الماجن يمازحها وهي تشيح عنهُ بعين السآمة والملل واذ راق لعيني اوبين هذا المنظر وآنس شيئًا من التسلية في هذا المظهر استأنف الجلوس في مكانهِ متوقعًا عود تلك الفتانة المتنكرة وما كاد الجلوس يستقرُّ بهِ حتى ذعرهُ صراخ وراءهُ فالتفت واذا بها مسرعة في الهرب من وجه ذلك الماجن الذي عدا يجري وراءها حتى ادركها حيث كان غودارد جالسًا وفي اجتيازهِ بها القى الى يدها ورقة لم تلبث هي ايضًا ان القتها الى الارض وفي اقل من طرفة عين غابا كلاهما عن الابصار فانحنى غودارد والتقط تلك الورقة وفتحها فوجدها خلوًا من الكتابة فقال في نفسهِ "مهما يكن من هذا فلست بتارك ذاك الماجن الوحشي يمتهن قدر هذه الفادة الحسناء" ثم نهض وسار في جهة مسيرها يخترق الصفوف المزدحمة حتى دنا من المتنكرة فأبصر الماجن واقفًا قدامها يروم محادثتها اما هي فنفرت منهُ ودارت تحاول الفرار واذا بغودارد الذي كان وراءها اصبح قدامها فاقبلت عليهِ وكادت تلقي نفسها بين يديهِ وقد خاطبتهُ بانكليزية صريحة لا يخالطها اقلُّ لهجة غريبة : —

— ارجو عفوك

— بل انا ارجو عفوك . هل من خدمة اتشرَّف بالقيام بها لديكِ؟ اراكِ مضطربة ومنزعجة

— سر بي الى مركبتي واغتنم شكري وثنائي

— لبيكِ وسعديكِ

ثم مد اليها ذراعهُ وقد دار بنظرهِ مفتشًا عن ذلك الماجن الذي توارى عن النظر واذ لم يجدهُ سار بها الى الباب الخارجي وهناك خاطبتهُ :

— ارجوك ان لا تؤاخذني ولا تحطيَّ ادراك ما اردتهُ بالتماس مساعدتك وقد لذتُ بك كانسانٍ انكليزي واثقة بانك لا تنظر اليَّ كواحدة — من — اولئك —

فاعترض تتمة كلامها بقولهِ : —

— بلا ريب

ولما اتيا الى حيث كانت مركبتها تقدَّم غودارد وفتح بابها فوثبت اليها في الحال . اما فهو

فاذ رأى نهاية مسعاه الى هذا الحد من الاختناق قال لها : —

— هل تريدين ان اسير بخابيتك الى حيث تأمنين الخطر ؟

— كلاَّ لاني في امن منذ الآن

— هل ادلُّ السائق ؟

— لا حاجة لهُ الى دليل

افلا تسمحين لي على الاقل ان ازورك غداً واطمئن عن سلامتك ؟ وبعد ما اطرقت هنيهةً أجابت : —

— هل تعدني انك اذا سمحت لك بهذا لا تسألني شيئاً عن امري وتنسى بعد ذلك اجتماعنا للابد ؟

فقال بملء اليأس

— نعم

— بشرفك ؟

— بشرفي

— حسنٌ

ثم اخرجت رقعة وكتبت عليها بقلم رصاص كلمة او كلمتين ودفعتها اليهِ قائلةً : —

— شرفني بتناول الغداء معي في المكان الذي يدلُّ عليهِ هذا العنوان

— متى ؟

— غداً بل اليوم لانهُ كاد يطلع النهار

— سأراعي الميعاد بكل ضبط

— حسن . استودعك الله الى الملتقى مع الف شكر وثناء عليك ايها القائد او بين غودارد

فعجب من معرفتها اسمهُ ونكص الى الوراء ليغتنم النظرة الاخيرة من المركبة التي ما ابطأت ان أُديرت وأُعمل السوط في ظهر جوادها فعدا كالبرق الخاطف واوغل في الجري تحت اطباق الظلام . فذهب غودارد بالرقعة الى اقرب مصباح منهُ وعرضها على نورهِ فرأى مكتوباً عليها باحرف كبيرة " البارونة التدورف "

ويليها عنوان مكتوب بقلم رصاص

فاشعل سيكارهُ ودار نحو مدخل الملعب على طريق الانصراف الى مبيتهِ مردداً في ذهنهِ صور هذه المعارض . وهو بين مصدقٍ لها ومكذب

الفصل التاسع

البارونة التدروف

مهما يكن من امر الساعة الاخيرة التي قضاها القائد اوبين غودارد في الملعب فانهُ قضى بعدها ساعةً أُخرى في مخدعهِ تائه الافكار مشرَّد الحواس يضرب في حوادث ليلتهِ — بل حادثتها — اخماساً لاسداس وخرج قبل ظهر ذلك اليوم بساعتين قاصداً الملتقى في الاجل المضروب

وقد يصعب على الكاتب وصف حالة القائد اوبين في اثناء مسيرهِ . فانهُ اجهد قواهُ عبثاً في الاطلاع على شيء من امر هذه البارونة ليعرف لها اصلاً ونسباً وكاد يخالط في عقلهِ من شدة الحيرة والدهشة اذ لم يجد في صوتها او حركاتها شيئاً باعثاً على الحذر والارتياب . كانت كلها ناطقة بكرامة اصلها وحسن تربيتها ولم يستطع ان يأخذها بكلمة نطقت بها شفتاها الجميلتان جزافاً ولا بنظرةٍ سمحت بها عيناها الساحرتان تهكماً واستخفافاً . ومع ذلك تعرَّفت بهِ على طريقةٍ مبهمة جداً وعينت لهُ مكاناً للاجتماع بها على اسلوبٍ في غاية الابهام . ومعلوم ان ركوب مثل هذه الاخطار كان محظوراً على من جاء رسولاً من قبل ملكة انكلترا ولكن غودارد لم يخطر ببالهِ انهُ سائرٌ في طريق الخطر او مقدم على ما يوجب الخوف والحذر . ومما رابهُ ايضاً انهُ لم يقدر ان يتحقق جنسيتها ولا توصل الى معرفة وطنيتها . نعم انها خاطبتهُ بالانكليزية الفصحى ولكنهُ مع ذلك آنس منها ما الجأهُ الى الحكم بانها ليست مولودة انكلترا او انها برحتها منذ وقت طويل . واذ اعيتهُ الحيل في الوصول الى مبتغاهُ وسدَّت في وجههِ ابواب التبصر والاستطلاع اضرب عن الخوض في لجج هذه الافكار العميقة وعمد الى قطع ما بقي عليهِ من الطريق في تصوُّر استقبال البارونة لهُ . فطفق يمثل امام عينيهِ هيئة المكان الذي تدعوهُ اليهِ وما فيهِ من نفائس الرياش وفاخر المفروشات وانتقل منهُ الى تصوُّر الهيئة التي تقبل عليهِ فيها فشرع يتخيل صورة وجهها الباهي وجمال منظرها ورشاقة قوامها وحسن ملبسها ولذة الطعام الذي يتناولهُ معها ورقة الانغام التي تشنِّف مسمعهُ بها بعد فراغهما من تناول الطعام بالضرب على البيانو او على القيثار الى غير ذلك مما يطول شرحهُ ويتعذَّر استيفاؤهُ

ثم انقطع سلك تصوراتهِ بغتةً بداعي وصولهِ الى "منزل التدورف" الذي كتبت لهُ البارونة اسمهُ على الرقعة التي اعطتهُ اياها في الليلة الماضية

وكان هذا المنزل قائماً في ضاحية المدينة في بقعة عامرة بالمناظر البرية يحيط بهِ سياج يفصلهُ عن الطريق ويخفي اسافلهُ عن عين الناظر اليهِ من الخارج ولهُ بوَّابة موصدة تفتح الى

ممشى متعرّج يقود اليهِ . وعليهِ لم يستطع ان يستفيد شيئًا من مجرد النظر الى هذا القصر لانهُ لاح لعينيهِ مقفرًا يخيم فوقهُ ظلال الوحشة وجميع نوافذهِ وكواهُ مغلقة بمصاريع ثقيلة وليس من دخان يصعد من مداخنهِ ولا شيءٌ من مظاهر الانس يبدو داخل ابوابهِ المحكمة الايصاد والتقفيل

وبالجهد تمكن من ضبط نفسهِ عن اظهار التعجب الشديد وقد انستهُ هذه المظاهر الموحشة وعدهُ للبارونة بعدم ابداء اقلّ سؤال او استعلام فالتفت الى فلاّح قائمٍ في بستان على جانب الطريق وسألهُ : —

— ما هذا المنزل ؟ فاجابهُ بعين الحذر والارتياب : — هذا منزل التدورف

— ومن ينزلهُ ؟ — لا احد — كيف لا احد ؟

— نعم فانهُ لا يزال مقفلاً منذ وفاة البارونة التدورف من ثلث سنين

— لكنهُ لا يرى مهجورًا

— لان الباقي من عائلة صاحبتهِ يقوم الآن بنظارتهِ وتعهُّد بساتينهِ على انهُ لم يسكنهُ احد قط بعد البارونة

— افي يقين انت ممَّا تقول ؟

فلم يجبهُ الرجل بشيء بل اكبَّ على عملهِ محققًا السائل وساخرًا بشدة جهلهِ وغباوتهِ

اما غودارد فلم يكبر عليهِ مصير اقدامهِ الى هذا الحد لعلمهِ انهُ مضطر ان يكون في النظارة الخارجية الساعة الرابعة بعد الظهر ليأخذ جواب رسائلهِ من الكونت اندرامي

فعزم على مداومة السير حتى اذا حان الاجل المعيَّن ولم يظفر بمبتغاهُ لا يعود للبارونة التدروف — اذا جمعتها بهِ المقادير — من حقٍّ في لومهِ على عدم قيامهِ بشروط دعوتها

فواصل التطواف حتى اجتاز حدود المنزل ثم رجع ادراجهُ يمشي الهوينا وعند الساعة الثانية عشرة (الظهر) رأى نفسهُ مرة ثانية امام بوابة قصر التدورف فاذا بهِ قد أُخذ بعجبٍ جديد واندهال ما عليهِ من مزيد اذ رأى البوابة مفتوحة فدخلها وفيها هو سائر في الممشى المؤدي الى داخل ابصر مصاريع الكوى والشبابيك كلها مفتوحة والدخان يتصاعد من احدى المداخن عمدًا وينتشر في عنان السماء زردًا . وفي مقدمة الدار كرسيَّان وامامهما بعض البسط الشرقية وعلى واحدٍ منها "شال" وكتاب مفتوح دلالة على انهُ مقروءٌ فيهِ منذ وقت قصير جدًّا

ولما بلغ الباب فتحهُ لهُ خادم ادخلهُ الى غرفة جلوس المغشاة بالحصر الهندية والمفروشة على طراز لويس الخامس عشر . وفيها هو مأخوذ ببلاغة الدهشة وقد دنا من شباك يشرف على

حديقة غناء اذا بذلك الصوت الرخيم الذي كان لا يزال يرنُّ في فضاء ذهنهِ مدة العشر ساعات الاخيرة يكلمهُ من ورائهِ قائلاً : — ادلاً بالقائد غودارد

فالتفت واذا بشيفتهِ قادمة تخطر بقوام الين من الخيزران واعدل من غصن البان . تكسوها حلة فاخرة من لدن عنقها حتى الخمص قدميها وشعرها الحالك مضفورٌ الى مقدم رأسها. فوقف غودارد مبهوتاً لا يقوى على التفوُّه بكلمةٍ . اما هي فخاطبتهُ : —

— ها قد جئت في الوقت المعيَّن وحسناً فعلت . فلسوف يكون لنا وقت كافٍ لنعرِّف كلٌّ منا بالآخر او بالحري لاصلاح هذه المعرفة

— اعذريني اذا رأيتِ في كلامي — في اول الامر — شيئاً من عدم الانتظام بداعي حيرتي وارتباكي . فهل تقولين لي اين اجتمعنا قبل اليوم ؟

— ليس الآن بل قبلما نفترق — نعم . انت مضطرٌّ ان تكون الساعة الرابعة في نظارة الخارجية وفي الساعة الخامسة تبرح فينا اليس كذلك ؟ بلى اذاً الاولى بنا ان نتناول اولاً الطعام ثم نتفرغ بعد ذلك لمجاذبة اطراف الكلام

— اني طوع امرك

— لا تسرع في مطاوعتي انجاماً او اكراماً بل ترسَّل في مجاريني بحرية وكان يجب عليك ان تسيء ظنك فيَّ . وعلى الاقل سلم انَّ تصرُّفي معك كان نادراً غريباً

— اني — فقاطعتهُ قائلة : اني وددتُ منذ وقت طويل ان اتعرَّف بك وقد سنحت لي فرصة قيامي بخدمتك في ما لا تعلم عنهُ شيئاً . وفي اتمام هذا الامر رميتُ طائرين بحجر واحد فقد تحزَّبتُ للقائد اوبين في حرب سياسية شرط الانتفاع بمعرفتهِ . وواضح ان هذا في حربٍ

— فقال وفي حبٍّ — فقالت بلا ريبٍ . قالت هذا متورِّدة ثم استانفت كلامها : —

— على ان الاول يستدعي الآن معظم انتباهنا على الخصوص . ولكن قم بنا فان المائدة معدَّة وانا جائعة جداً

ثم سارت امامهُ الى غرفة الطعام . وبعد ما جلس على المائدة قال لها : —

— افلا تنعمين عليَّ بايضاح هذه المشكلات المبهمات ؟ واول ما اسألهُ كيف عرفتِ اسمي وثانياً اما انتِ التي ارسلت اليَّ ورقة الدعوة الى حفلة التنكر في الليلة الماضية ؟

— كيف عرفتُ اسمك ؟ وهل يجهل احد في فينا اسم القائد اوبين غودارد رسول جلالتها السياسي الأ الخامل العريق في الجهل ؟ وانا التي ارسلت اليك ورقة الدعوة الى الحفلة لاسبابٍ أطلعك عليها الآن . وليس بخافٍ عليك شدة ارتياحي الى المسألة التي لاجلها جئت

الى فينا اربع مرات في مدة اربعة اشهر وقد اتاح لي حسن الحظ اجتماعاً بك طالما حدّثت نفسي به

— مهما يكن من غرضك ايتها البارونة فان لساني الآن في هذا الاجتماع القصير اقصر من ان يعبر عما اغبط به نفسي على هذه الفرصة السعيدة

— ان رسالتك في غاية الاهمية والمؤتمر سوف يعقد في ديسمبر او يناير

فاجابها متحرزاً : — هكذا يظن

— من الغريب ان انكلترا ترشح لاوامر روسيا وتذعن لمقترحاتها وقد كنت اظن ان حكومتك ترسل اسطولها الى الشرق

— انها لا تقدم على هذا الاّ اذا اخفقت مساعي المؤتمر وقصرت مقدماتهُ عن ادراك النتائج المطلوبة

— اذاً في الزوايا خبايا ولم أُخطىء الظن

فاجابها متلجلجاً وقد اوجس خوفاً تضييقها على افكاره واطلاعها على مكنونات اسراره :

— لا اعلم . اراك على جانب عظيم من الاهتمام بالسياسة حالة كون افكار السيدات الطف من ان تحدثها حوادث كهذه

— حقاً اني اعظّم شأن هذه الحوادث وانها يقلقني كثيراً ان أرى مصالحكم الانكليزية مدوسة تحت قدمي غورتشاكوف بواسطة رجلكم غلادستون

فاجابها مقطباً . ليس لرجلنا غلادستون حق المداخلة في هذه الامور ومن العبث تعليل النفس بشيء من مثل حادثة سنة ١٨٧١ وما كان الجوّ ليخلو الآن لروسيا فتمرح وتطفر وتبيض وتصفر

قال هذا لانهُ كان من اكبر انصار حزب المحافظين وقد احفظهُ كلام البارونة الى الغاية فاجابتهُ : — ذلك ما احبُّ سماعهُ من رجل نظيرك وهو خلاصة الرسالة التي بُعثت بها الى هنا . ولا تحاول إخفاء الامر لانهُ لا يسعني ان اتصوّر انك تكذب عليَّ

— لستُ بقادر ان اكذب عليك

فنهضت ودعتهُ الى الانصراف عن المائدة بعد ان اكلا كفافهما ثم خاطبتهُ قائلة وقد لاح على وجهها تغير فجائي : لم يبقَ سوى ساعة لخروجك من فينا ففي الساعة الثالثة ونصف تسير بك مركبتي الى نظارة الخارجية ومن ثم الى المحطة افلا تجيب سؤلي في انك ترسل السائق من نظارة الخارجية ليبتاع لك ورقة سفر ويحضر امتعتك من الفندق ؟ اذ لا اريد ان ترجع انت بنفسك

— يخجلني جداً تطفلي على الانتفاع بهذه العناية الشديدة

— عدني ! عدني !

— اعدكِ . ولكن الا تطلعيني على خفايا هذا السر؟

— لا يخفى عليك ان السياسة الروسية نفّاذة لا يعوقها شيء وقد علمت ان بعض وكلاء روسيا يسعون جهدهم لكي يعوقوك في فينا واجمعوا على طلبك الليلة الماضية من النندق . فبعثت اليك بورقة الدعوة وسببت غيابك عن مبيتك وجئت بنفسي الى الحفلة لاشاهدك واطمئنّ عن نجاتك من اشراك هذه المكيدة . ثم مثّلت امامك ذلك " الدور" وجعلت ذلك الرجل يطاردني و يبالغ في امتهاني على مرأى ومسمع منك لعلمي ان انكليزيًّا نظيرك لا يطيق ان يرى امرأة تهان في حضرته . ولولا هذا لكنت اليوم مسوقًا الى براز او وقوف في دائرة البوليس . ثم مسّت الحاجة ان اواريك هذا النهار عن الانظار وقد خطر على بالي هذا المكان وانت سائر بي الى المركبة لانهم ينتظرونك اليوم في النندق . فلا تنسَ انك وعدتني بعدم الرجوع الى النندق

فاجابها وهو يشتعل غيظًا : — اوتظنين ان مثلي يهرب من وجه انسان

فقالت لهُ برصانة : — من واجباتك صيانة ما أُرسلت اليهِ فقال — الحق معكِ

وظلاّ يتجاذبان اطراف الكلام حتى حان وقت انصرافهِ فقالت لهُ بكل اسف اقول لك اذهب

— اشكر لكِ فضلكِ وعنايتكِ

— اذًا تعفو عن سعيي في اعتراض حريتك ؟

— نعم وذلك في حب وفي حرب — وكلاهما هنا

فتوردّت البارونة وقالت لهُ مادة يدها : — سر بسلام

ولما بلغا باب الدار حاول ان يوضح لها شيئًا من لوائح حبهِ فحال دون ذلك وجود السائق معدًّا المركبة وفاتحًا بابها فاكتفى بقولهِ وهو ضاغط يدها : —

— الى الملتقى — اليس هكذا ؟

— هكذا ارجو

— وعدتني انكِ تخبريني اين اجتمعنا قبل الآن

— امس في الملعب

ثم اغلق السائق باب المركبة وعدا بها حتى بلغ البوابة الخارجية فاطلّ غودارد من كوتها فوجد نوافذ القصر اقفلت كما كانت في الصباح . فقال في نفسهِ : ان هذه المركبة شاهدة على اني في يقظة والاّ فجميع ما حدث لي كان حلمًا

ولما ذهب السائق الى النزل رأى فيهِ رجلين كانا في انتظار غودارد منذ الظهر ولا يزالان ينتظران

الفصل العاشر

القوة وراء العرش

ان نظام البوليس الرومي منقسمٌ الى ثلث فرق الفرقة الاولى من نوع الشرطة المعروف بالجندرمة والثانية البوليس الاداري وهذه رتّبها القيصر نيقولا لاصلاح شؤون الضباط والمأمورين ولكنها قد عمّت الآن اقطار العالم والثالثة — الفرقة الهائلة المخيفة — مؤلفة من البوليس السري ولها رقباء وجواسيس في كل بيتٍ وفندقٍ وحانةٍ . وهذه الفرق الثلاث يرئسها رجل واحدٌ . وهذا الرئيس كان عليهِ في مشاكل سنة ١٨٧٦ الى ١٨٧٧ ان يقوم بما تضعف عندهُ الهمم وتخور لديهِ العزائم

ثم ان دائرة النظارة الخارجية في بطرس برج هي اوسع وأكبر دوائر الحكومة ويليها دائرة النظارة الداخلية وعلى ملاصقة هاتين الدائرتين غرفتان صغيرتان احداهما داخلية تفتح الى رواق والاخرى خارجية تشرف على شارع نيوسكي . وهاتان الغرفتان مترزتان لاقامة رئيس البوليس واركانهُ كاتم اسرار ومستشاران او كاتبان

وكان البرنس سكولوف رئيس البوليس يقيم في الغرفة الخارجية . ومقامهُ هذا — بين دائرتي النظارتين — يدلُّ على شدة اهميتهِ في احوال السياسة الاوربية . وكل من شاهدهُ جالساً على كرسيهِ المفشى بالاديم لا يفوتهُ ادراك ما كان عليهِ من ضخامة الجسم وشدة القوى الجسدية . ويكفي للدلالة على ذلك يدهُ الهائلة الملقاة على مائدةٍ امامهُ . وهو غير متجاوز الاربعين سنة . غير ان مجالدات الخطوب ومعارك الايام كانت راسمة على وجههِ خطوط وقائعها الرائعة التي بيضت مفرقهُ مع ان شعر حاجبيهِ وعارضيهِ كان باقياً في شدة سوادهِ دليلاً على تلك الليالي السود التي مرّت برأسهِ . وكان في هذا الوقت يقذف بشرر عينيهِ الحادتين من تحت جبهةٍ عريضةٍ ووجههُ يسفر عما اعتادهُ في حالة السكون والهدوء . ولمامهُ — اذ الوقت صباح — رسائل متنوعة جاءتهُ منذ نصف ساعة وهو آخذٌ في فضها واحدةً واحدةً وبعد ما يعلمها بقلم رصاص ليسهل توزيعها يضعها في كومتين احداهما ترسل الى مجلس الشورى والاخرى تحفظ لكي تطالع مطالعة سرية فيما بعد . لكنهُ لم يلبث ان توقف عن فضها بداعي رسالة تناولها ولم يطل نظرهُ فيها اذ ليس من فائدة في ذلك لانها لم تكن من الرسائل الاعتيادية بل كانت مكتوبة على قرطاس ازرق رقيق مربع الشكل باحرف يونانية على اصطلاح خاص . وغاية ما استطاع تلاوتهُ منها ما معناهُ "الشيطانة الجميلة" . فلم يعد لهُ مندوحة عن انتظار كاتم اسرارهِ الذي عندهُ مفتاح الرسالة السرية وحلُّ هذه الاحجية . على

انهُ ما ابطأ ان طرق اذنهُ وقع اقدام فالتفت واذا بشابٍ دخل الغرفة وجلس على كرسي امام مكتبهِ مخاطبهُ قائلاً ها قد اتيت يا ديمتري ديمتريفتش فقد كنت في انتظارك

— هل من رسالة من الشيطانة الجميلة ؟

— نعم فاين الآلة التي تحل بها مثل هذه الرسالة ؟

— هنا يا صاحب السمو

— أدرها على ١ ، ٥ ، ٢ ، ر واقرأها بها

قال هذا وسلم الرسالة الى كاتم اسرارهِ وزجع يفض الرسائل الباقية وعلى مدة نصف ساعة لم يسمع في تلك الغرفة من صوت سوى صرير تلك الآلة المشغول كاتم الاسرار في ادارتها تفسيراً للرسالة السرية حتى اذا فرغ من حلها حرفاً حرفاً نهض ودفعها الى رئيسهِ مكتوبة بالافرنسية وهذا تعريبها : —

" فينا في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٧٦

" القائد اوبين غودارد من فرقة العشرين للفرسان مبعوث الملكة الخاص في المسائل الشرقية ، عمرهُ نحو ٣٤ سنة وهو انكليزي مهذب من كل وجهٍ ويتعذر استجلاء دخيلتهِ وابتلاء اسرارهِ بالوسائل العادية ، قدم فينا في ١٥ اغسطس يحمل رسائل الى نظارة الخارجية

" اذا عُقد المؤتمر لزمت انكلترا جانب الحياد وان شهرت روسيا الحرب اسرعت انكلترا الى احتلال البوسفور ، لا بدَّ من المحافظة على عدم تجزئة المملكة العثمانية ، عناية خاصة بياطوم وطرابزون ، لا تفصيل غير هذا الآن

" في هذا المساء ابرح فينا شاخصة الى بطرس برج الشيطانة الجميلة "

ثم طوى رئيس البوليس الرسالة الاصلية وترجمتها ووضعهما في خزانتهِ وقال متمتماً : —

— ان هذا في غاية الاهمية ، " انكليزي مهذب ، يتعذر استجلاء دخيلتهِ لا تفصيل غير هذا " ، حقاً اني لا احب هذا الاسلوب ، لكنها قادمة هذا المساء ، فلا باس ، سوف اقابل هذه المرأة الداهية

ثم سلَّم الوسائل المراد توزيعها الى احد مستشاريهِ وقال لهُ : —

— ابلغ كاتم اسرار نظارة الحرب اني في انتظار ناظرهِ بعد ساعةٍ

ولما خرج هذا التفت البرنس سكولوف الى كاتم اسرارهِ ديمتري ديمتريفتش كيراتيف وقال :

— احقق ان اباك ديمتري كيراتيف لم يشر الى اسم هذه البارونة التدورف او — كما يدعونها — الشيطانة الجميلة

— نعم ياصاحب السمو فانهُ لم يذكرها قط . ولكن بعد حدوث المكيدة التي نُصبت لاغتيال جلالة القيصر واصيب فيها ابي بجروحٍ المميت ذكر لي امرأة عندها مفتاح الرسائل السرية لكنهُ لم ينه قط باسمها وكنت حينئذٍ صغيرًا جدًا . فغشي محيا البرنس سكولوف ضبابة كثيفة عند سماعهِ هذا الكلام لان المكيدة التي نُصبت للقيصر ولاق فيها رئيس البوليس السابق حتفهُ كانت موضوعًا منعَ الرئيس الحالي — لاسباب سياسية — البحث فيهِ امامهُ . اما كاتم اسرارهِ فاعتبر شخصًا ممتازًا في وظيفتهِ من حيث كونهُ تحت حماية الرئيس الحالي وابن الرئيس السابق ولما اغتيل ابوهُ ديمتري كيراتيف كان هذا الفتى من موظفي دائرة البوليس وحين دُعي البرنس سكولوف الى وظيفة ابيهِ طلبهُ وعينهُ كاتم اسرارهِ . اما دورسكي رئيس عصابة النيهيلست فلم يعد يعرف عنهُ شيء وشاع انهُ قتل في اودسا بعد ذلك بوقت قصير وان جماعتهُ تفرقوا . ومن ذلك العهد منع الخوض في مسألة مؤامرتهِ وعدت من جملة المواضيع التي لا يسوغ البحث فيها في دائرة البوليس . اما الان فلم يبدِ هذا الرئيس لكاتم اسراره اشارة الصمت عن هذا البحث بل استفسر منهُ كمن تذكر شيئًا غامضًا عن حادثة منسية قائلاً

— كيف كان كلام ابيك معك بخصوص هذه المرأة ؟

— قال لي : " يا ديمتري اذا دعيت يومًا الى مقام خطير في هذه الفرقة فهنا مثال لآلة الكتابة السرية الذي تحل بهِ جميع المراسلات السرية . ومتى راسلتك امرأة على هذا النمط اطلع رئيسك على رسالتها وقل لهُ اني انا ديمتري كيراتيف خلفت لهُ وصية الاحتفاء بها والالتفات بعين الاهمية الى جميع رسائلها . ولياقتي بها مطمئنًا لان زمام نجاح مملكة روسيا المقدسة في قليها وقد يكون في يدها " ولذا ارى يا صاحب السمو ان " الشيطانة الجميلة " هي المرأة المعينة بوصية ابي لانهُ لم يؤتمن على آلة كتابتهِ السرية من يقلدها او يسيء استعمالها

— اظنك مصيبًا بهذا ثم تفرغ رئيس البوليس بعد هذا للاجتماع بناظري الحربية والخارجية الى الساعة الرابعة بعد الظهر . وحينئذٍ انصرف كاتم اسرارهِ وستشاراهُ وادخل اليهِ خادم مصباح المطالعة فمد يديهِ متمطيًا كمن اكمل شغلهُ او انتقل الى عمل اخف واسهل . ولم يكن يخطر ببال من ينظر اليهِ جالسًا على هذا الاسلوب من التراخي والتثاقل ان هذا الذي يستطيع بكلمة واحدة ان ينفي كثيرين الى سيبيريا او يغرق الحكومة في لجج عراقيل طامية كان قبل ان تراهُ في رئاسة البوليس بثماني سنين — الكس دورسكي زعيم النيهيلست

نعم كان هو اياهُ ولم يعلم بهذا احدٌ سواهُ بل جميع الذين كانوا يعرفونهُ قبلاً ورأوهُ متربعًا في هذا الدست خفي عليهم ان هذا البرنس سكولوف هو الكس دورسكي مقدام النيهيلست